

الرجاء وبالله التوفيق وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

نكارتر

الماسة المفقودة

كان نكارتر البوليس السري المشهور عند وقوع هذه الحادثة في مدينة دانفر من مقاطعة كولورادو، وقد دعاه إليها عمل مهم أنجزه فمألت الجرائد المحلية أعمدتها بذكر نكارتر وأعماله الغريبة ودار اسمه على الألسنة وتناقلته الأفواه.

وحيث أنهى طعام الغذاء في أحد الأيام جلس في الغرفة مع معاونه باتسي وإذا بخادم الفندق أقبل عليه وسلمه رقعة زيارة قال له أن صاحبها يود أن يكلمه في الحال فأخذها البوليس وقرأ عليها اسم فيليب دلمار بصوت منخفض ثم التفت إلى معاونه باتسي وسأله هل سمعت بهذا الاسم قبلاً، فأبدي باتسي إشارة النفي، فتبسم نكارتر وقال إذن فلنستم هذه الفرصة للتعرف إلى هذا الرجل وقال للخادم أدخله لرى.

وبعد هنيهة أقبل الزائر وهو ربعة في الرجال قد لوحث وجهه أشعة الشمس وكانت حركاته العنيفة تدل على أنه عرضة لاضطراب وانفعال شديد حتى أنه لم يفكر بتحية البوليس عند الوصول بل صرخ قائلاً: يجب أن أسعيد ماستي المفقودة المدعوة (عين الشيطان).

فأجابه نكارتر: ذلك مما لا ريب فيه.

فقال باتسي ممعناً: حسناً يفعل هذا الرجل إذا تكلم عن الشيطان ذاته.

ولكن الغريب استمع الكلام وقال بالغرابة أليس من العجب أن أفقد عين الشيطان ماستي الثمينة، فقال البوليس بتأن حسناً ولكن اسمح لي أولاً أن أقدم لك نفسي فأنا

نقولاً كارتير من نيويورك.

فعض الزائر على شفته ثم قال:

وأنا فيليب دلمار، وإذا كنت لم أقم بالواجبات فأرجوك مغفرة لأنني أضعت صوابي حين فقدت ماستي العزيزة التي لا يقع عليها ثمن.

فقاطعه نكارتر قائلاً: تفضل واجلس ثم قص علينا قصتك بالكينة التامة فإذا وجدت فيها ما يستحق العناية فأنا رهين أمرك.

فجلس دلمار على المقعد الذي أشار إليه نكارتر ثم ألقى على باتسي نظر مستفهم وقال أظن أن هذا الشاب مساعدك.

— نعم ومن أشد مساعدي ذكاءً ثم بعد أن تعارف الرجلان وتصافحا قال دلمار فلنعد الآن إلى حديث الماسة وأظن أنه يهملك أن تعرف تاريخها قبل أن تدخل في ملكي.

— لا حاجة لي بذلك فيكفي أن أعرف منك كيف ومتى انتقلت هذه الماسة إليك.

— إنها دخلت في حوزتي منذ سنة تقريباً وكنت في تلك الآونة تاجراً في كلكتا فاتفق

لي مرة أنني أنقذت حياة رجل برهمي له شرف أثيل وثروة جزيلة ودفعت عنه غائلة

لصوص داهموه — ولست أفخر بشجاعتي — ولكني أقول أي لحسن الحظ كنت

حاملاً مسدسي وأنت تعلمون أن السلاح الجيد يفعل ما لا تفعله البسالة.

— ذلك مشهور ولكنه يتوقف على المساعد الذي يدير السلاح.

إنني أجب على هذا — وأنا بريء من التجح — إنني اسعملت بمهارة فائقة، فإن اثني

عشر لصاً هاجموا البرهمي في ضواحي المدينة ولم يكن هناك سواي فبادرت إلى تجذته

مع أي لم أكن أعرفه قبلاً ولم أحج في إنقاذه إلى شجاعة فائقة بل كفى لذلك أن أطلق

النار ذات اليمين وذات اليسار وأن أعيد حشو مسدسي بأسرع ما يمكن فصرعت

رجلاً بكل طلق ولا أستحق الإعجاب بهذا فإن اللصوص كانوا قريبين مني حتى لم

يمكنني أن أخطئهم فقتلت خمسة منهم ومات السادس أثناء نقله إلى المستشفى وفر
الباقون هاربين.

فابتسم نكارتر وقال له إذن فأنا لا أوثر أن أنازعك ما دام مسدسك في يدك لأنك
تبلغ به ما تريد.

— دعنا من هذا فلو كان لي جراحة أن أستخدم مسدسي منذ ثمانية أيام ما رأيتني اليوم
آتياً لأزعجك لأنني كنت أوقفت كقاتل، ولنرجع الآن إلى تنمة الحديث ففي اليوم
الذي تلا الواقعة أتاني البرهمي إلى مخزني وكان يريد أن يقدم لي هدية دليلاً على شكره
فأعطاني علبة صغيرة وقال لي أن ضمنها الماسة المعروفة في الهند بعين الشيطان ثم قال
لي أن هذه الماسة ذات قيمة لا تقدر يا صاحبي وأشار عليك أن تبارح الهند بعد الآن
فحياة الذي يملك هذه الماسة في خطر شديد لأن جميع الطبقات في الهند تعرفها وكثيراً
ما أثارت المعارك الدموية في سبيل امتلاكها، ثم ذهب البرهمي وتركني ذاهلاً
والصندوق في يدي وعندما فتحته وجدت فيه ماسة كبيرة الحجم جداً لم تقطع بعد
وتكاد لا تعرف لها لوناً لشدة صفائها، وعندما لم أدر ماذا أفعل ولما استشرت كبار
الجمهوريين في كلكتا وأخبروني عن قيمتها الحقيقية قمت عجباً ولم تعد حياة تاجر في
الهند تطيب لي فبعت مقتنياتي وعدت إلى الولايات المتحدة آملاً بأن أقطع الحجر وأبيعه
بأعلى ما يتيسر لي.

فسأله نكارتر وهل تقطن في كولورادو؟

— لا، إنني لم أقطن في مدينة بعد لأنني لم أترك الهند منذ أكثر من شهر وقد جئت من
بوسطن إلى كولورادو.

قبل أن أنزح إلى الهند أقمت عدة سنوات في هذه البلدة عساني أوفق إلى حشد ثروة
فأخذت أصدقاء كثيرين وفي هذه الآونة لم يسمح لي قلبي أن أمر في مقاطعة كولورادو
دون أن أذهب لزيارة أصدقائي القدماء.

وحيث نمتي إلي أن اثنين منهما يقطنان هذه المدينة ألقىت فيها عصا التسيار.

وقد مضى على هذا أسبوع وفي اليوم التالي من وصولي دعوت صديقي إلى العشاء في
الفندق فلبيا دعوتي وخصصت غرفة لنا فقط و . . . إن هذه لصدفة عجيبة أنا كنا
جالسين في هذه الغرفة عنها ذلك اليوم المشؤوم.

فقال البوليس إن الأمر ذو شأن خطير، إنك ولا ريب أريت الحجر الكريم إلى
أصدقائك.

— نعم وأسفاه.

— إذن فأخبرني بالتدقيق عن المدعويين الذين حضروا العشاء.

— حياً وكرامة، كانت المنضدة الطاولة موضوعة في الزاوية حيث يجلس المسير باتسي
الآن، وكان الخادم قد وضعها أولاً في وسط الغرفة كما ترونها الساعة ولكنني نقلتها
من موضعها لأنه كان يمكن القاطنين في الجوار أن يروا كل ما نفعله لو بقيت المنضدة
في محلها فغيرت وضعها وجلست قرب هذين الزرين اللذين تراهما في الحائط وأنت
تعلم أن الذي دعاني إلى وضع المنضدة هنا قصصته عليك لأنك ترد أن تعرف كل ما
جرى بالتفصيل وعندما وصل أصدقائي الثلاثة هضنا إلى المنضدة.

فقاطعه نيكارتر وقال له هل كانوا ثلاثة إنك لم تذكر لي حتى الآن سوى اثنين منهما.

— هذه هي الحقيقة ولكن واحداً منهما أحضر معه شريكه الأعمى فجلست قرب
الحائط حتى يسهل علي استدعاء الخادم بتحريك اللولب وجلس أمامي كراب الرجل
الأعمى وكان عن يميني شريكه ماتيو وعن يساري صديقي المدعو دونلسون.

— أرجوك أن تعرفني بأسماء أصدقائك الأولية.
 — فرانك ماتيو وجورج دونلسون أما كراب فأظن أنه يدعى يوحنا.
 — فردد البوليس لفتة جورج دونلسون وهو يلتفت إلى معاونه باتسي الذي كان إلى جانبه ثم سأل دلمار ما هي صنعة هذا الرجل.
 — يقوم بمشاريع كثيرة يؤمل منها أن يكتشف مناجم غاز.
 — حسناً كنت ظننت أنه هو وترابي مسروراً جداً لأنني أسمع عنه شيئاً.
 فعجب دلمار وسأل نكارتر قائلاً وهل كنت تعرفه قبلاً؟
 كلا ولكنني أود كثيراً أن أتعرف إليه وستكلم عنه فيما بعد. . . أرجوك الآن أن تتم حديثك.

والذي دفع نكارتر إلى السؤال عن دونلسون هو أن هذا الأخير كان له ضلع في كثير من الجرائم الفظيعة من قتل وسرقة بالتحريض والإغراء دون أن يعلم بما البوليس وكان هذا الداهية المحتال ينسل من وصلتها ولو علم بما البوليس لقادته إلى السجن أو إلى الكرسي الكهربائي (آلة الإعدام).

وكان نكارتر وباتسي هما الوحيدان اللذان قدرا أن يكتشفا أسرار فعلته، ولكنهما لم يكتشفا أمراً آملين أن يقبضا يوماً على الشرير ويدعما شكواهما عليه بالبراهين الجلية.
 ثم عاد دلمار واستأنف حديثه فقال: وانتهى العشاء كما تنتهي الولايم في الفنادق عادة وبعد أن رفع الخدم المائدة وقدموا القهوة واللفائف السكاير وخرجوا أخرجت الماسة من جيبي، فتناولتها الأيدي والكل يعجبون بما وسمع كراب الأعمى ذلك واذ لم يكن قادراً أن يبصرها أراد أن يمسه على الأقل، وبعد أن جسها وضعها بقربي على المنضدة آه إني أذكر كل حركة جرت عنده فقط نظرت كراب المسكين يقلب وعاء الكر عند ما مد يده ليناولني الحجر الكريم وسمعت تنهده حين وضعه أمامي، وبقي على

المنضدة هنية يسيرة يسألني في أثنائها أصدقائي ألف سؤال عن تاريخ هذا الحجر فلم أجد مانعاً من إخبارهم بكل ما جرى فقصصت عليهم كل ما أعرفه من تاريخ الماسة وكيف اتصلت بي . . . قصصت عليهم كل هذا بإخلاص وبساطة شأن الأصدقاء.

وأخيراً فرغت الأقداح فضغطت على زر الجرس الكهربائي لأستدعي الخادم وكان في نيتي أن أقدم إلى المدعوين قدحاً من الكورنيك الفاخر، ومع هذا فلم أول أصدقائي ظهري تماماً لأنني لم أشأ أن أحول نظري عن الماسة ولكن لنكد طالعي ضغطت على زر الكهربائية وللحال استولى على الغرفة ظلام دامس لم يستمر بضع ثوان أعدت في خلالها المجرى الكهربائي ولو قدر لي أن أعيش مئة سنة لم أنس اليأس الذي أخذ بخناقني عندما ألقيت نظري على المنضدة فوجدت الماسة قد اختفت.

وحين وصل دلمار إلى هذا الحد من حديثه أمر يده على جبهته وانقطع عن الكلام فقال نكارتر لو لم تأت إلي اليوم وتقص عليّ هذا الخبر لكنت أقول أن أحد أصدقائك سرق الحجر.

فقال دلمار هذا هو فكري بتمامه.

فأجاب نكارتر نعم ولكنك إذ لم تفتشهم حالاً صار الواجب علينا أن نسلم أن اختفاء الماسة سر غامض.

فسأل دلمار وكيف هذا إنني لا أفهم شيئاً.

فقال نكارتر إن المسألة واضحة كل الوضوح وهو أن رجلاً يجيد استعمال المسدس مثلك كان من الواجب عليه أن لا يدع شيئاً ثميناً كهذا يفقد من دون أن يطلق طلقاً أو ينسب بنت شفة بل كان يفتش حالاً في الموضع الذي وضع فيه الحجر فإن الحجارة الكريمة لا تسرق نفسها على ما أعلم.

فقال دلمار إنني أخبرتك أنني حزين لأنني لم أعمد إلى المسدس فقد أخرجته من جيبي ولكنني لم أطلق النار، على أن الماسة اختفت كما قلت بطريقة غامضة خفية للغاية فإنها لا تسرق نفسها كما قلت وبالتالي فلم أجد طريقة أوضح فيها هذا الإبهام.

— فأخبرني بالتفصيل والتدقيق عما أجرته عندما فقدت الماسة.

— إذن فاسمع أول ما وقعت الحاطي على ماتيو وكانت يده على شفثيه تترع السيكار الذي كان يدخنه دون انقطاع، وكانت مظاهر الدهش تعلوه فعزوت هذه المظاهر إلى ما ناله من سرعة فقد الماسة وكانت يده اليمنى على المنضدة.

وكان دونلسون يرسل إليّ لحظاً لم يسرني فاشتبهت به للحال ويعسر عليّ أن أصف هيئته وصفاً مدققاً ولكنني أذكر ما يلي، كانت عيناه موجّهتين إلى موضع الماسة تواءً وكانت يده اليسرى قابضة على المنشفة ومضطربة بفعل عصبي ويده اليمنى موضوعة على زجاجة خمر فارغة وكان جالساً على كرسيه في المؤخرة بعيداً جداً عن الطاولة، أما كراب الأعمى فكان على شفثيه كأس ماء وكانت عيناه متجهتين إلى القدح ونظرت رماد سيكارته تتساقط على المنشفة بينما كان يشرب الماء، وكل هذا أذكره تماماً، ثم وضع القدح على المنضدة وكان في بقية ماء اضطربت ثوابي قليلة ثم سكت.

— إن وصفك تام مدقق فلتنظر الآن في شأن دونلسون وقد قلت لي أنه كان بعيداً جداً عن المنضدة.

— نعم وكانت نظراته تشف عما في صدره.

— يظهر أنه اغتم فرصة الظلام فسرق الماسة أليس كذلك؟

كان ذلك كما تقول، وكان له هيئة تشبه هيئة الثعلب الذي سقط في فخ.

— وهل كان جالساً على مقعده بدون اهتمام عندما أظلمت الغرفة؟

— أظن ذلك.

ففكر البوليس لحظة ثم قال:

يمكنني أن أتصور الآن كيف جرت الحوادث فإن دونلسون نظر اختفاء الماسة.

— لا لا قال دلمار وكان يترأيد اضطرابه العصبي أنا لا أعتقد بهذا ولكنني أظن أن دونلسون هو السارق وهذا الشك يترأيد في خاطري فقال له نكارتير أملك روعك فإنك قد قصصت عليّ الأخبار بدقة وتفصيل نادر فلا تشوش حديثك بالاضطراب. فلنفكر بكل هذه الشئون ولنمعن النظر فيها بهدوء وسكينة.

فتضجر دلمار وقال سأبدل جهدي لاتباع نصيحتك فماذا تريد أن أخبرك الآن؟

— أريد أن تخبرني ماذا قال أصدقاؤك عندما ألقيت الشبهة عليّ أحدهم وماذا صنعوا ليعينوك على اكتشاف السارق؟

— فقال دلمار إنني نظرت إلى دونلسون فوجدت ألوانه متغيرة لأنه لحظ أنني آثمته بالسرقة.

فقال لي لا توجه إليّ هذه النظرات يا دلمار.

— إنني لا أحب هذا النوع من اللهو، قلت هذا بصوت أجش وألقيت عليه نظرات لا تسر.

ونظرت أيضاً إلى ماتيو ثم قلت:

فلنحاديث إليّ ماسي إن المسألة خطيرة أكثر من أن تجعل موضوعاً للهو والمزاح فالذي أخذ الماسة عليه أن بعيداً حالاً إلى موضعها وفي هذه اللحظة دخل كراب في المحادثة وقال والدهشة بادية علي وجهه ما هذا وماذا جرى؟

فأوضحت له بكلمات قليلة أن ماسي فقدت في اللحظات القليلة التي استحوذ فيها الظلام على الغرفة وأن أحد أصدقائي قد سلبها وكان هذا الرجل لم يعلم إلى تلك

الساعة شيئاً من القضية حتى أنه ربما لم يشعر بانطفاء النور فكان من الواجب عليّ أن أوضح الأمر وعندئذ أخذ الثلاثة يتكلمون سوية.

فقال كل من دونلسون وماتيو إنني لم آخذها يا دلمار بينما كان كراب يقول إن هذا النوع من المزاح مسيء جداً وأنه شعر بما أحاق بي من الكدر الشديد.

ويمكنكم أن تصوروا ما ألم بقلبي من الأشجان، فلم يكن من الممكن أن تتصاعد الماسة في دخان السيكرات، كنا أربعة في الغرفة وإذا لا يحتمل أن أسرق نفسي كان من الضروري أن يكون السارق أحد الثلاثة، إن فقدان الماسة أثر بي تأثيراً شديداً ولكن شعوري بأن هذا العمل المعيب صدر من أحد أصدقائي كان أشد إيلاماً لي.

ولما لم أستفد شيئاً من ذلك فهضت ووضعت يدي على طرف المنضدة وقلت لأصحابي اصغروا إليّ واسمعوا جيداً إنني أفادي بكل شيء في سبيل استبقاء أصدقائي القدماء ولكنني مضطر أن أوضح لكم أنه إذا لم تعد الماسة في عشر ثوان إلى موضعها من المنضدة فإني عندئذ أعتبركم أعداء لي وأعاملكم معاملة الأعداء. فلم يتحرك أحد منهم.

عشر ثوان لا تحسب شيئاً أليس كذلك يا مسيو كارتر ولكنني استطلتها كالدهر وحبست نفسي حتى انقضت المهلة العينة وكنت قد وضعت ساعتني أمامي ولاحظت عقربها وأنا أرتعش بنوبة من الحمى.

فقال ماتيو أنا لا أدخل في دائرة هذا الوعيد، ثم رمى لفاقته ووضع يديه على صدره وقال إن هذا العمل الذي جرى هو مكدر للغاية ولكنني أؤمل أنك لا تعتقد أنني قادر أن . . .

فصرخ دونلسون وأنا أيضاً بريء كل البراءة.

وفي هذه الحالة بدأت بالكلام فقط اعني كراب الذي أثر بي اضطرابه وارتعاشه وقال:
 إنني لست صديقاً قديماً للدلمار فإذا كان فقد ماسته كما يدعي فالأولى أن تقع التهمة
 عليّ فقال ماتيو إذن يكون مجنوناً فكيف يمكنك أيها المسكين أن تسرق شيئاً وأنت
 على ما أنت عليه من العاهات والضعف.

فقال الأعمى بلطف من المؤكد أنني لم أسرق الحجر الكريم ولكن دعوني مع هذا
 أتكلم أنا عارف أن الشبهات يجب أن تقع عليّ بالأكثر، كما كنت أفعل لو كنت
 موضع دلمار ولهذا فأنا أرجوه أن يفتشني.

ثم نهض واقرب مني وهو يتلمس طرف المنضدة في مسيره.

وكنت أراقب الاثني الآخرين فلما وجدت أنهما لم يتأثرا تلاشت صداقتي لهما ومرت
 كحلم وزاد في نفسي الريب فقلت لهما: أنا أعقل من أن أشك في هذا الأعمى أو
 يخيل لي أنه السارق ولكنني إذ رأيتكما لم تتأثروا ولم تتحركا فأنا عازم أن أتبع مقالته
 بالحرف.

فارتجف دونلسون وظهر الغضب على وجهه وصرخ هل تريد أن تشك بي؟
 فقلت له بلهجة الأمر اجلس في محلك وللحال سحت مسدسي ووجهته إليه وأنت
 تعلم يا ميو كارتر أنني بالسلس ذاته قد هزمت لصوص كلكتا ولم أنس طريقة
 استعماله بعد ثم ناديت دونلسون إياك والحراك وإلا فأنت هالك لا محالة فسقط على
 كرسيه وتناول لفاقة شعلها ولم يقل شيئاً ثم عرفت بعد ذلك أنه لم يكن ناقلاً سلاحاً
 نارياً وكان ماتيو أعزل أيضاً ولكن كراب كان مسلحاً.

فصاح نكارتر آه وأي سلاح كان مع الأعمى إن هذا لغريب.

— مسدساً من أشهر المعامل.

فظهرت على محيا البوليس أمارات البغته.

— هذا غريب أليس كذلك وقد فكرت ملياً في معنى وجود المسدس في جيب هذا الأعمى فقال لي وهو يتسهم أنه يصحب السلاح ليدافع عن نفسه إذا تعرض له أحد وأنه كثيراً ما يهزم عدوه بإطلاق النار في الهواء، ثم وضع مسدسه على المنضدة وطلب مني أن أفتش جيوبه كلها فأتممت ما طلبه بعد أن وضعت مسدسي على مقربة مني لسهل عليّ اسعمانه إذا هم أحد الاثنين بنأمة ولكننا لم نصل إلى هذا الحد.

ولما لم أجد ماستي في جيوب الأعمى أعدت إليه بعض ثيابه التي كنت أخذتها ثم عاد إلى موضعه وهو يستعين بالارتكاء على طرف المنضدة والفتت إلى دونيلسون وقلت له قد جاءت نوبتك فانفض وهو مصفر كاليت، حتى خيل لي أنه لم يبق نقطة دم في عروقه وصرخ إن هذا لا يليق بي إنني لم آخذ ماستك وأنا لا أسمح لك أن تفتشي.

فم أجهه ولكني رفعت مسدسي نحوه فتناول زجاجة فارغة من المائدة وأراد أن يرميني بها، وكنت أسرع منه فأطلقت النار، فأصابت رصاصتي عنق الزجاجة ومرت بين أصابعه وهو الرمي الذي وجهت إليه الكرة فانكسرت الزجاجة وسقطت كسرهما على المنضدة وقد أتممت بهذا الحطة التي رسمتها لنفسي فإنني كنت أبغي أن أبين له أنني قادر على قتله فاستمر دونيلسون واقفاً عاجزاً أن يتزل ذراعيه وظل قابضاً على عنق الزجاجة بأصابعه المشنجة لأن ضربتي كانت قد أرعبته وكان ماتي قد نفض في هذه الأثناء فصحت به مكانك فليث صاعراً وعاد إلى مجلسه أما كراب فكان يدخن وهو رابط الجأش ساكن كأنه لم يسمع شيئاً ثم قلت لدونيلسون يجب عليك أن تدعن للتفتيش، وأنصحك إذا كنت حريصاً على حياتك أن تزغ ثيابك دون تدمر ولا ممانعة فقد فرغ صبري وضاق صدري.

وفي هذه اللحظة قرع الباب ففتحت وإذا بخادم الفندق جاء على صوت إطلاق الرصاص فقلت لن أن مسدسي انطلق عرضاً ولم يجب أدنى ضرر فعاد من حيث أتى

وأغلق الباب، فقلت لدينلسون بلهجة التهديد أما إذا انطلق عرضاً مرة ثانية فميردي رجلاً منكم.

وكان من شأن النظرات التي أرسلتها إلى دنلسون أن أقنعه بعزمي فأطاع الأمر وبدأ بخلع ثيابه، وبالاختصار فإنني جردته من ثيابه ولمست مجاسده بيدي وفتشت جيوبه بدقة ولكنني كدت أجن لما لم أجد شيئاً، وكان دينلسون يخشى أن تأخذني الحدة فتطلق من يدي رصاصة تكون القاضية عليه.

يقولون في الكل إن النتائج الجيدة تحصل في المرة الثالثة ولهذا أوعزت إلى ماتيو أن جاء دورك فجرد ثيابك.

وكان يشبه دونلسون بشدة تأثيره ولكنه لم يجد مفراً من ذلك فتقدم إلى وسط الغرفة وبدأ بترع ثيابه.

فوجدت جيوبه أخلى من جيوب دونلسون وعندئذ أخذني دوار شديد شعرت معه أن كل ما في الغرفة يتحرك ويضطرب واستلقيت على المقعد وقد خارت قواي ولحسن الحظ لم يشعر أصدقائي بما آلت إليه حالتي من الضعف والوهن، وقبل أن يبدأ دونلسون بالكلام كنت شفيت من هذا الدوار.

فقال لي دونيلسون بصوت أبح ضح حداً لهذه الوقاحة، ها هنا مدعو لم تهنه بعد لأنك لم تبلغ درجة من القحة تأمره فيها بترع ثيابه.

وعندما أتم دونلسون جملة ففض كراب وكان حتى الساعة جالساً على كرسيه بسكينة تامة يدخن سيكارتته فيصاعد منها الدخان كما يتصاعد من مدخنة المعمل.

فوضع لفاقته. . . واني لا أزال أذكر كيف كان يمر يده على المنضدة ليجد المنفضة ولم يد عليه أقل انزعاج ثم قال بصوت منخفض أنا عالم ماذا يراد مني ولحسن الحظ أن ذلك سهل جداً عليّ لأنني أعشى.

وحين قال هذه الكلمات بدأ برع ثيابه فألني هذا المنظر وأخذتني الشفقة على ذلك المسكين وكنت مزمماً أن أمنعه من ذلك ولكن أمارات الاستهزاء التي بدت على وجه دونيلسون وماتيو وافتكاري بالسرقة هيجا غضبي فعلى الدم في عروقي وعوضاً أن أمانع كراب أوغزت إليه بالإسراع.

وفي بضع دقائق كنت قد فتشت جميع أثوابه، ولكن جميع التقيب الذي أجرته لم يجدي شيئاً وظلت الماسة مفقودة ويصعب عليّ أن أقول أنني كنت آمل أن أجدها مع كراب ولكنني اتخذت الثالثة.

وفي هذه المرة سمعت صوت دونيلسون وهو يقول بلهجة كئيب:

والآن فإنك قد اكتفيت من إهانتنا ففتش تحت المنضدة عماك ترى شيئاً.

ولم يكن هذا الفكر قد خطر لي قبلاً، فشعرت بحمرة الخجل تعلو جبهتي وأومض لي في ظلمات اليأس برق من الرجاء.

وحين أرجعت المنضدة قليلاً كي لا تعيقني في عملي وانحيت على البساط محدقاً فيه كنت أفكر بأي طريقة أعتذر لأصدقائي إذ كان من المحتمل أن أكون أنا ذاتي قلبت الماسة على الأرض حين التفت لأضغط الزر، ولكن يا للأسف فإنني لم أكد أرسل نظرة إلى ذاك البساط حتى تلاشى آخر رجاء ولم أبق للماسة على أثر.

وعندها استفزني غضب شديد فاندفعت بحدة شديدة أبحث في جيوب هؤلاء الرجال الذين اعتبرتهم أصدقائي ودعوتهم ليقاسموني المسرة والصفاء، فذهب كل ما بذلت من الجهد أدراج الرياح ولم أظفر بضالتي.

وهكذا فإن ماستي الثمينة، الماسة التي كنت أفتخر بها فقدت ولست أدري ماذا جرى بها وحين بلغ هذا الحد من خطابه سكت قليلاً وأخذ يمسح العرق البارد المتصبب على جبهته ثم سقط على مقعده ذاهلاً وكان قد وقف حين استفزته الحدة أثناء الحديث.

— فقال نكارتر: إنما لقصة عجيبة وأنا أود أن أعلم كيف تنتهي فأشار دلمار برأسه وبعد أن تنهد تنهداً عميقاً عاد إلى حديثه فقال: ولما وجدت أن بحثي ذاهب سدى استلقيت على مقعدي خلف المنضدة وأذنت لهم بلبس ثيابهم.

ولما أبصرت النظرات المخيفة التي كان يرشقني بها كل من دونلسون وماتيو احتطت لنفسي فجلست وراء المنضدة والمسدس في يدي اليمنى.

وكنت ألاحظ هؤلاء الرجال وهم يتشحون بأثوابهم، ولم يلفظوا كلمة واحدة لأنهم على ما أظن لم يجدوا كلاماً يعبر عما في أنفسهم من شدة الانفعال لإهانتي إياهم إذا كانوا حقيقة أبرياء.

وانتهى بي أعمال الروية إلى الافتكار أن واحداً منهما سلب الماسة بأسلوب خفي غامض ومهارة تامة حتى خفيت فعلته عن صديقه الآخر وعلى كل فقد وجدت من المناسب أن أسعى لإعادة الصلات الحية التي كانت تضمنا حتى تلك الساعة فقلت لهم:

يا أصدقائي الأعزاء إن الحادثة التي جرت قد أدمت قلبي ولو علمتم عظم الخسارة التي حلت بي لصفحتم لي عن المعاملة القاسية التي حزنتم لأجلها و . . .

فصرخ دونلسون بغضب خفف عن نفسك مؤونة الاعتذار فلو جنوت أمامي مئة سنة لم يكف ذلك نحو الإهانة التي ألحقتها بي، كل علاقة بيننا قد توترت منذ الآن وانقلب الحب بغضاً فإذا صادفتني في الشارع ومسدسي في جيبي فخذ الحذر.

فالتفت عندئذ إلى ماتيو وكان لونه مخيراً ولكنه كان هادئاً فقال لي أما أنا فلا أتهدد.

لم يقل غير ذلك ولكنني فهمت فكره تماماً وعرفت أنه حقوق لا يصفح لي عن الإهانة وأنه أصبح عدواً هائلاً يخيفني أكثر من دنلسون فما زلت منذ تلك الساعة أحاذر أن أوجد في طريقه.

أما الأعمى المسكين الذي لم أعرفه قبلاً فكنت لا أعلم بأي عبارة أعذر إليه فجلست على المقعد ولم أهم بمحركة حتى أكمل الثلاثة لباسهم وهموا بالخروج فقال دونلسون وصوته يتهدج من الغضب: أتأذن لي الآن بالانصراف؟

أما ماتيو فلم يقل شيئاً بل كان ينتظر كراب الذي تأخر في الاكتساء لضعفه كي يقوده إلى خارج الغرفة، ولما استعد تقدم إليّ ببطء وبخطوات متقلقلة فأراد ماتيو أن يقوده خارجاً ولكنه دفع الذراع التي مدها إليه صديقه وقال له:

انتظري دقيقة أيضاً يا فرانك

ثم خاطبني قائلاً:

إن هذه الحادثة قد أزعجتنا جميعاً ولكني لا أحقد عليك لأنني أقدر أن أتأمل حالة نفسك فأنا معتم غير أنني أرجوك أن لا تظن بي سوءاً. وهذه الكلمات التي لفظها ذلك المسكين أذابتني خجلاً لأنني لم أكن مستحقاً هذا اللطف بعد أن عاملته بمحشونة كما عامله رفيقه فأجبت:

تأكد يا مسيو كراب أنني كنت راغباً أن لا أفتشك لولا إصرار دونلسون. فقال الأعمى لا شك عندي بذلك ومهما يكن من الأمر فإني لا أطوي لك ضغينة في صدري.

ثم مددنا يدينا وتصافحنا مصافحة الإخاء وبعد أن حيينته وأجاب تحتي قال: لي إليك كلمة أيضاً وبعدها أذهب: إن الحادثة التي جرت في هذه الليلة قد ضيقت صدري فأدركني بقدرح من الماء فلم أستغرب هذا الطلب لأن حلقي كان يلهب من الظمأ فقلت له إن آنية الماء قد انكسرت فهل لك في قدح خمر أو غيره من المشروبات.

فقال شكراً لك لا حاجة لي بذلك، ولكك تجد بقية ماء في قدحي.

فأخذت القدح وناولته إياه.

فشكرني وهو يأخذ القدح وبعد أن شرب السؤر وضعه على المائدة وتأبط ذراع ماتيو وخرجا سوية من الفندق وكان ينوي أن يكلمني فوقف الكلام على شفثيه.

ثم سقطت على مقعدي خائر القوى وأحاطت بي ظلمات متراكبة من اليأس.

وإن الفكر الذي كان يدور في خلدي من أن السارق أحد هؤلاء الثلاثة لم يبارحني لحظة، وكانت شهباني تقع على دونلسون ومع هذا فلم أر أبدأ من التسليم أنه من المحتمل أن يكون الثلاثة شركاء في السرقة قد اتفقوا من قبل أن يلعبوا بي هذه اللعبة المشؤومة فقلت إذا كان الأمر هكذا فإنهم لا يلبثون بعد خروجهم من الفندق أن ينشقروا أو يتنازعوا وللحال نهضت ومشيت على أطراف أصابعي دون أن أحدث أقل صوت ومشيت في الرواق فأدركت ماتيو وكراب في منتصف السلم وظلا صامتين لم يلفظا كلمة حتى بلغا الباب الخارجي، فعندئذ قال ماتيو لكراب:

هاهنا عربة وسأعينك على الصعود إليها وأعين للسائق المحل الذي تروم أن تبلغه، وأما أنا فلا أود أن أدخل البيت حالاً لأنني ما زلت متهيجاً جداً.

فأجاب الأعمى حسناً إنني أعرف ذلك ولكن إياك أن تأخذك الحدة والطيش بسبب هذه الحادثة أسمع يا فرانك؟

فلم يجبه ماتيو.

ثم نظرت كراب يصعد إلى العربة وصديقه يري السائق الجهة التي يجب أن ينحوها فسارت العجلة من الوجهة المعينة وسار ماتيو في الجهة المعارضة حيث كان دونلسون ينتظره على كتب.

وبقي الرجلان اللذان لم يريا في صامتين بضع دقائق وأحدهما بجانب الآخر ثم شرعا بالكلام معاً وكانت جملتهما واحدة تقريباً:

— هل أنت أخذت الماسة يا جورج؟ (سأل ماتيو)

— هل أنت أخذت الماسة يا ماتيو؟ (سأل جورج)

إن صدور السؤالين في وقت واحد وبتركيب واحد تقريباً لم يغير شيئاً من جد الرجلين، وكان دونلسون أقل صبراً من رفيق فأجاب قائلاً:
أؤكد لك أنني لم آخذ الماسة.

فقال ماتيو ولا أنا أيضاً، وليس في وسعنا أن نقول أن كراب هو السارق لأننا إذا فرضنا أنه همّ بذلك فإنه عاهته تمنعه ذلك.

فأجاب دونلسون: وأنا أسلم بذلك ولكن ما هي هذه اليد الخفية التي سرقت تلك الماسة الشيطانية؟

فقال ماتيو يظهر أن دلمار خولط في عقله فلا يبعد أن يكون وضع الماسة في جيبه وأظن أنه سيجدها بعد أن يملك روعه.

فصرخ دونلسون إنني أدفع مئة ريال عن طيب خاطر إذا صح افتراضك ووجد هذا العيس ماسته في جيبه.

فسأله ماتيو أيسرك ذلك ولماذا؟

فأجابه دونلسون أنت تعرف لماذا؟ قالها بلهجة قديد مخيفة حتى إنني ارتعشت رغم إرادتي.

ثم تم حديثه قائلاً: لأنني بعد أن حدث ما حدث الليلة أريد أن أعرف موضع الماسة حتى أحول ظنه إلى حقيقة.

فقال ماتيو هذا ما أقصده لأني إذا قدرت أن أغرمه جزاء العار الذي ألصقه بنا فأنا لا أتأخر عن ذلك، فاتبعني الآن يا جورج لنروي ظمأنا الشديد.

وعندئذ سار صديقاى القديمان وذراعهما ملتفان إحداهما على الأخرى.

وإنك ترى الآن يا مسيو كارتر أنني قصصت عليك الحادثة بتفصيلها ولم أسقط حرفاً واحداً، وبذلت الجهد حتى لا أدع شيئاً دون أن أقصه عليك ولم أهمل أمراً لم أنبتك به ولو كان طفيفاً في الظاهر لأنني أخشى أن يكون ذلك الأمر مفتاح السر. وهنا سكت دلمار كم أهى حديثه.

فسأله نيكارتر قد مر على هذه الحوادث أسبوع أليس كذلك؟
— نعم

— وأنا أظن أنك لم تفر عن السعي في خلال هذه المدة لاستجلاء الغامض.
— أنا. . كنت جنت لو لم أدأب في السعي.
— إذن فقل لي ماذا صنعت؟

— إنني سأشرح لك ذلك بجزية تامة فقد تدرجت في الشوارع بحالة تشبه الجنون وقد ظهر لي أنه من الممكن أن أكون أنا نفسي قد وضعت الماسة في جيب من جيوب فعدت مسرعاً إلى حيث تناولنا طعام العشاء، وابتدأت أفتش نفسي بدقة لا مزيد عليها فقلبت جيوب جميعها ومزقت بطانة أثوابي وعريت من كل ليسي حتى صرت في حالة جدينا الأولين، وإن خجلي من قص ذلك عليك لا يوازي خجلي من إخفاق مساعي، فقد اختفت الماسة ولم أقف لها على أثر.

ولم أكد أقم لبس ثيابي حتى قرع الباب ففتحته وإذا بخدام الفندق قادمين ليرتبوا الغرفة وبينما كانوا يدأبون في عملهم كنت أراقبهم بمزيد الانتباه وأقول من المحال أن لا يجدوا الماسة.

ولما أنجز الخدام عملهم ولم يجدوا شيئاً خرجت أتجول في الشوارع وظللت نحواً من ساعتين، وكان الوقت الساعة التاسعة ليلاً، ثم وقفت بغتة لأرى الجهة التي أسلك فيها وتطلعت فإذا أنا أمام مركز البوليس فهيمت بالدخول لأقص عليه الواقعة، وبعد أن

فكرت بهذا علمت أن لا رجاء لي بمساعدة البوليس العادي في هذه المسألة الغامضة، إذ ليس في يدي برهان يؤكد حدوث السرقة، إن الماسة فقدت دون شك ولكن بعد المبحث المدقق الذي أجرته لم أجد مجالاً لاثام ضيوفي.

فأتممت نزهتي منفرداً وكان يأسي يزداد من حين إلى آخر وكنت أعزّي نفسي بأن فقدان الماسة لم يجعلني مملقاً فما زالت ثروتي في كلكتا ولكن هذه التعزية كانت تزول حين كنت أفكر أنني خسرت بضائع الماسة لحوراً من نصف مليون دولار، ولا سيما عندما أفكر أن هذه الثروة الواسعة فقدت في بضع ثوان.

فسأله نيكارتر وهل أخبرك الجوهريون في كلكتا أنها تساوي هذا الثمن الفاحش؟
 — نصف مليون؟ هذا مؤكد وهو ليس بثمنها الفاحش بل المعتدل، وقد أخبروني أن الماسة إذا قطعت قطعاً لا يشوبه خطأ فإن ثمنها يرتقي إلى ثلاثة أضعاف هذه القيمة.
 — إذن فأنت تعتقد أن عين الشيطان تستحق العناء الذي ستصرفه في البحث عنها.
 — آه يا مسيو كارتر وهل تريد أن تتولى أمر البحث عنها؟

— على الأرجح. . . ولكنك لم تقل لي بعد ماذا فعلت ولعلك قد عثرت على أثر بذلك على مكنها.

— قد حزرت يا مسيو كارتر قد عثرت على أدلة عديدة ولكنك تعرف مبلغها من الصواب أكثر مني.

بعد أن أدت ظهري لمركز البوليس أتممت المسير فاجتزت المدينة وقبل الساعة الحادية عشرة وجدت نفسي أمام محطة السكة الحديدية وأبصرت عربة مقبلة تقل مسافراً.

ولما وصلت قفز السائق إلى الأرض وساعد الراكب على النزول ولم يكن هذا الراكب سوى كراب الرجل الأعشى.

فصرخ نيكارتر باللعجب.

فتبسم دلمار عندما سمع ذلك وقال:

ربما افتكرت أنه أراد أن ينجو بالسرقه وأنا أعتقد أنه ربما كان هذا ممكناً وربما كان من الواجب عليّ أن أسعمل المسلس ولكن إصغ: إني رأيت السائق يأخذ خريطة كراب من العرية ثم أمسكه بذراعه وقاده إلى غرفة الانتظار، فكنت لهما ألزم من ظلهما.

ثم أخذه إلى حيث قطع جوازاً إلى بويلو وكنت خلفه فسمعتة يسأل المأمور عن ميعاد سفر القطار فأجابته سيقوم القطار الأول إلى بويلو بعد عشر دقائق. وفي هذه الأثناء كان السائق واقفاً وراء كراب ليقوده إلى القطار وعندما اجتازا غرفة الانتظار أعوزتني الكينة ولم أتمالك نفسي فعارضتهما في الطريق.

وقلت له وأنا أشعل من العيظ:

أسعدت صباحاً يا مسير كراب

فحدق بي الأعمى وأدار نحوي عينه وظهر عليه أنه عرف صوتي فقال وهو يتردد في القول:

يظهر لي أي أعرف صوتك، ألسن المسير دلمار، فهل خدعتي سمعي؟

فقلت له أنا هو.

— إذن فقل لي بالله هل وجدت أثراً لماستك تمديدك لمخباها؟

— فقلت لا وكنت أراقب ماذا يكون تأثير جوابي فيه.

— إن هذا مكدر جداً، إن هذه الضرية هائلة.

— نعم ولكن ليس بوسعي إلا أن أتلقى مصيبي بالصبر، والآن فإني أراك على وشك

السفر.

نعم وآسفاذ فإنني وجدت في مترلي عند رجوعي إليه هذا النبأ البرقي الذي أجبرني أن أسافر مع القطار الأول.

ودفع إليّ النبأ حين طلبته منه وأنا أعترف لك أنني لم أتردد بل قرأته بمزيد السرعة وكان من بويلو وهذا نصه حرفياً:

أحتك على فراش الموت عجل بالحضور، الطيب. م. غوردون
فعزيزته بكل ما حضرني من عبارات التعزية.

فقال لي: منذ مدة كنت أتوقع ورود هذا النبأ، فوردني اليوم، وبما أنني راحل فأنا أشكر جميلك إذا أنبأني بالدلائل التي تبدو لك والآثار التي تهدي إليها وأنت تعرف السبب الذي يهيج هذه الرغبة في نفسي.
فأجبتته متعلماً نعم أعرفه جيداً.

ثم قال بعد أن أوارى أختي المسكينة في التراب أعود إلى هنا ولديك عنوان إقامتي فأرجوك أن تواصلني بما يجد معك في هذا الشأن.
فوعده أن أفيته بكل ما يحدث.

فاستمع حديثه قائلاً: إن إقامتي في بويلو ستكون في بيت أختي، فإذا اتضح لك كيف اختفت ماستك أو إذا وجدتها كما أتخى لك، فتكون لك عليّ يد بيضاء إذا أنبأني على لسان البرق لأتلك تعلم أنه ما زالت ستور الخفاء مسدولة على هذه العضلة تظل العلائق بيني وبين صديقي ماتيو متوترة وإن هذا ليحزني لأنني كنت وإياه دائماً صديقين حميمين.

فهمت أن أخبره بما قاله عنه ماتيو ودونيلسون بعد خروجهما من الفندق ولكنني آثرت الرصانة والسكوت واقتصرت على نسخ العنوان الذي أعطانيه كراب.

وبعد ذلك صافحني وقاده السائق إلى الرصيف حيث كان القطار مزمعاً أن يقف، وعدت إلى الفندق وفي أثناء عودتي عولت أن أراقب دونلسون وماتيو عبثاً كنت أحاول أن أطرد هذا الفكر عن خاطري وهو أن أحدهما كان السارق. وبينما أنا أسير صادفتهما في الطريق ولكنهما لم يصراني فتبعتهما على بضع خطوات وأنا أحذر كل ما من شأنه أن يبههما إلى وجودي.

وكانا آتيين من النادي دون شك ووجهاهما مقطبان لتبعتهما وما زالا سافرين حتى وصلا إلى المنزل الذي يقطه كراب وكان لماتيو غرفة هنالك أيضاً ففتح ماتيو الباب بمفتاح أخرجه من جيبه ودخل الرجلان. فلم يمكثا أكثر من خمس دقائق.

وكنت لحظت أن النور قد أضيء وأطفئ بسرعة في ثلاث من الغرف أو أربع فدل ذلك على أنهما كانا يفتشان عن ماتيو الذي لم يبلغهما بعد خبر سفرد الفجائي. فقال ماتيو وهما يتزلان إلى الشارع أن القطار قد نحا بويلو من ربع ساعة تقريباً. فأجابه دونلسون نعم إن هذا الفاجر قد بعد مسافة طويلة فقال ماتيو ولكن لحسن الحظ أن اللحاق به سهل.

وهذا كل ما قدرت أن أسمعه من المحادثة وكان من المؤكد عندي أنهما يتكلمان عن كراب ولكنني لم أعرف هل كانا ينظران ماسي وهما يتكلمان هذا ما أترك حله لك يا مسيو كارتر.

ثم دخلا مسرعين إلى بيت آخر وقد فهمت بعد ذلك أنه مسكن كليبور شريك دونلسون فلم أحفل بهذا الأخير لأنني لم أعلم كيف يكون له دخل في سرقة الماسة. فقاطعه نيكارتر قائلاً: حسناً حسناً إنك أنت لا تعرف كليبور ولكننا نحن نعرفه فهو منهم بالتحريض والإغراء على كثير من حوادث القتل والسرقة وهو الآن في السجن

ينتظر جزاءه وأن علاقته مع صديقك دونيلسون كانت تدلني على أن في حياة هذا الأخير أموراً خفية غامضة ولكن أرجوك أن تتم حديثك الآن.

فاستأنف دلمار الكلام وقال إنني انتظرت ساعة قرب بيت كليبور خرج بعدها الاثنان ولكنهما انفصلا في أول عطفة من الشارع فتبع دونيلسون الذي عاد إلى منزله، أما ماتيو فلا أعلم أين انتهى به السير ولم أنظره بعد ذلك ولكنني أرجح أنه ذهب في اليوم التالي إلى بويلو ليلقي كراب هناك.

أما دونيلسون فقد أقام عامة اليوم التالي في مكتب المحل الذي يديره هو وشريكه كليبور وفي اليوم التالي نظرت صدفة أن دونيلسون أخذ رسالة برفية وبعد أن قرأها ظهرت على وجهه علامت الاهتمام والتأمل ولم أقدر أن أعرف مصدر الرسالة ولا محتواها ولكنني أعرف أنني لم أر دونيلسون في اليوم التالي ولما ذهبت في اليوم الثالث أطلبه في محله أخبروني أنه سافر إلى بويلو، وبالطبع ركبت أنا أيضاً القطار الأول وبعته.

فقال نيكارتر إنه لفكر في غاية السداد فماذا اكتشفت هناك؟

— لا شيء في لا شيء أجاب دلمار إنني رمت أن أذهب إلى المحل الذي أعطاني كراب ثمرته ولكنني فهمت أنه لا يوجد بيت في المدينة بهذا العنوان، وكان الشارع موجوداً فقط ولكن النمرة التي معي كانت عنوان أرض ما زالت خالية من البناء ولم يكن هناك بيت إلى بعد مئة خطوة من جميع الجهات.

فقلت لعلني أخطأت في نسخ النمرة فسألت عن أخته التي كانت على فراش الموت فلم أسمع أحد يتكلم عن امرأة ماتت أو أشرفت على الموت فسألت عن الطبيب ا. م. كوردون فلم يكن حظ هذا من الوجود أكثر من حظ الأخت الموهومة.

فلم يبق لي إلا أن أسأل عنه فسألت مأموري المحطة هل شاهدوا رجلاً أعشى نزل في الليل من القطار قادماً من نيويورك ووصفت لهم ملامحه.

فلم يذكر أحد في المحطة أنه شاهد رجلاً أعشى بهذه الملامح وبالاختصار فإنني قد أضعت يومين في بويلو وأنا أفتش دون طائل.

فعممت على أن أقصد مركز البوليس وأشرح له خبر السرقة وكل ما يتعلق بها، وحين قرأت في الجرائد أعمدة بأسرها ملؤها إطلاؤك والثناء عليك ووصف العمل العظيم الذي قمت به قبل الليلة السابقة وعلمت أنك حضرت إلى هنا عاد لي بعض الرجاء وأتيت إليك لأعرض عليك القصة بجميع تفاصيلها.

فقال البوليس للدلالة إنني أقدم لك تحياتي وتهاني لأنني قلما نظرت رجلاً قادراً مثلك على الإحاطة بأطراف الموضوع واستقصاء شوارده وإيضاح دقائقه ووصف ذلك بطريقة سهلة واضحة، وسنقفي بعد الآن أثر عين الشيطان وإذا ساعدنا الحظ فإننا نرجو أن فتدي إليها.

— إنني أقدم لك شواعر الشكر التي تخلج في صميم الفؤاد، وأرجوك أن تخبرني هل عزمت على السفر إلى بويلو؟
— على الأرجح.

— وهل تريد أن أرافقك؟

— لا ولكن اترك لي عنوانك وإذا اضطررت إلى الانتقال فأبلغني ذلك، حتى تصلك جميع الرسائل والأنباء البرقية التي يمكن أن أرسلها إليك، ولا أطلب منك غير هذا سوى أن تتق بي.

وتم تحادث الثلاثة سوية بشأن الأمور المادية التي يقتضيها البحث والتنقيب، وبعد ذلك استأذن المالك الشرعي للماسة من البوليس الشهر ومعاونه وانصرف.

وبعد أن خرج دلمار التفت كارتر إلى معاونه الشاب الايرلندي وقال له:

— ما رأيك في هذه القضية يا باتسي؟

يظهر لي أنها أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة فهل صدقتها يا أستاذي؟

— صدقتها كما أصدق بالحياة الأبدية التي لا أشك فيها لحظة.

— إذا فرضنا هذا فكيف أمكن الثلاثة أن يخفوا الماسة؟

فضحك كارتر طويلاً ثم قال:

يظهر لي أنك تظنهم شركاء في الجريمة قد تعاقدوا عليها سابقاً.

— إذن فماذا تريد أن أعتقد في شأن هذه الماسة التي اختفت وغابت آثارها.

اسمع يا باتسي أريد أن أحدثك بشأنها ولكنني لا أتكلم عن لصوص.

— عمن تتكلم أعني لص واحد؟

— نعم فأنا أعتقد أن كراب هو السارق الوحيد.

— أيمكن هذا؟ أيمكن هذا الأعمى أن يسلب الماسة وأمامه ثلاثة رجال يصرون؟

فقال نكارتر إن كراب هو الذي أخذ الماسة قال هذا وهو يتظاهر بأنه لم يسمع

اعتراض المعاون ومع هذا فأظن أنه لم يفكر أن سرقته بإمكانه لما قبل الدعوة ولا

أصدق باتفاق سابق وأؤكد لك أن دونيلمون وماتيو برينان من وصمة السرقة وهما

يعتقدان كما أعتقد أن كراب هو السارق، وقد هاجهما ما صادفاه من الإهانة فعزما

على اتباع كراب وإجباره على رد المسروق أو أن يقاسمهما على الأقل ولما علما

بسفره إلى بويلو عرفا أنه قد خدعهما فاتنح باتسي بتأكيدات أستاذه وقال حسناً

يمكننا الآن أن نستنتج النتائج من هذه المقدمة وقد فهمت الآن معنى المخادثة التي

دارت بين الرجلين أمام الفندق.

— وجلي أن سفر كراب إلى بويلو هو اعتراف ضمني بذنبه.

ولهذا تبعه ماتيو إلى بويلو حيث علم أن السبب الذي انتحله الأعمى للسفر كان مختلفاً وهذا الذي عرفه دلمار بعد بضعة أيام.

— من الراجح أن يكون ماتيو مرسل النبا الذي اهتم له دونيلسون كثيراً، فسافر لينضم إلى رفيقه في اللحاق بالأعمى.

— أحنت يا باتسي هذا ما حدث برمته.

— ولكن كيف قدر هذا الشيطان كراب أن يسرق الماسة على هذا الشكل الخفي الغامض حتى لم يقدر دلمار أن يجدها في ثيابه حين فتحها؟

وبعد أن توقف لحظة عن الكلام ضرب يده على جبهته ثم قال:

يخيل لي أن هذا الخبيث المختال ليس أعمى.

— وحسناً وأي فرق في ذلك؟

فقال باتسي لا فرق وضاع سرورده باكتشافه حقاً أن الحالين سيان فهل تظن أنه أعمى يا أستاذ؟

ثم ساد سكون قطعته فههقه باتسي الذي قال وهو يضحك:

— آه، آه، إن تفتيشاً كالذي أجراه دلمار لا يتفق حدوثه دائماً، ثلاثة رجال عارين كجدهم آدم قبل أن يخطئ حقاً إنه منظر مضحك.

فأجابه نكارتر ضاحكاً:

لا أظن المشابهة تامة إذ ينقص الأخيرة قليل من الصحة.

فعاد باتسي بعدها إلى الجد وقال:

أنا أرى يا أستاذ أنك فكرت لتبلغ نتيجة فبأي أسلوب تظن كراب سرق الماسة وتمكن من إخفائها.

ولكنه اندهل عندما وجد أن كارتير اقتصر على الضحك وهو يرفع كفيه ثم خاطبه قائلاً: يا عزيزي باتسي لم أعلم عن ذلك شيئاً.

— أفهذا ممكن؟

— نعم ممكن للغاية، فقد أرى في الأمر سراً لم أقدر على فهمه حتى الساعة وأنا أحتاج في حله إلى تأمل طويل سأبشره أثناء سفري ولذلك أرجوك أن تستفهم لي عن مواعيد سفر القطر.

فترن باتسي مسرعاً إلى مكتب الفندق وهناك تقويم لهذه الشؤون فأمعن فيه البوليسان هنيهة وبعدهما اختار نكارتر القطار الذي سيقله قال لمعاونه:

أرى أن واحداً منا يكفي لمطاردة هذا الأعمى أما أنت فأقم هنا في دنفر وأخبرني إذا عاد أحد الرجلين واعلم أنه يحتمل أن يحدث هذا بأسرع مما نفكر فتتقظ.

فقال باتسي كن أميناً من هذه الوجهة.

ولم يكن يعذر على رجل ماهر كنكارتر أن يقفو أثر أعمى ففهم وهو في الطريق أن كراب قبل أن يصل إلى بويلو طلب من السائق جوازاً عاماً.

فمع اكتفاء البوليس بهذا التصريح توصل إلى علم ما يأتي وهو أنه في يومين مختلفين من الأسبوع الماضي كان في القطار مسافران القيا إلى المفتش هذا السؤال بعينه فتحقق عند ذلك أن ماتيو ودونيلسون قد اجتمعا في بويلو ومن هناك سارا للبحث عن الأعمى.

وبعد برهة اكتشف على آثار الأعمى وكان صوتاً داخلياً ينجيه أن كراب هو السارق الوحيد، وعرف أنه اشترى نعلاً محددة واكترى جواداً من قرية صغيرة من قرى مقاطعة الأريزونا الشمالية، وسافر من هناك مصحوباً بدليل توصل البوليس إلى معرفته وطلب منه إيضاحاً وبسط ما يعرفه عن المسافر الذي كان يصحبه.

فقال الدليل:

لم أرافقه مدة طويلة إذ أنه قال لي بعد خمسة أيام من بدء السفر يمكنك أن تعود الآن فترددت في الرجوع وتركته منفرداً لأننا كنا عندئذ في أوحش قسم ثم الأريزونا ولكنه أصر عليّ فتركته وعدت.

ففكرت نكارتري ملياً في ما قاله الدليل ولم يفهم كيف أن رجلاً أعشى ضعيف القوة يود أن ينفرد في تلك البقعة الكثيرة الأخطار، فسأل الدليل:

— هل تعتقد أن الرجل كان أعشى حقيقة؟

فقال الدليل: كل الاعتقاد ودعم حديثه بسرد بعض الحوادث التي جرت على الطريق والتي تزيد قوله.

ثم استمع البوليس السير في طريقه.

ولم يكن الذي يلقاه على الطريق قادراً أن يعرف هذا الرجل ذو الشهرة الواسعة في العالم والذي يختلف إلى الأنديّة العليا في نيويورك وله المترلة الرفيعة بين الأريستوقراطيين لأن كارتري تزياً بزوي سكان الغابات فاتخذ هيئة متوحش يؤثر استعمال السلاح وخبثونة العيش على رفاهية الحضارة.

وكان جواده كريماً فأعمل في خاصرته المهماز ليلع ذلك الخل الذي يكاد يكون في آخر الدنيا حيث فارق الدليل كراب.

وبينما كان يجد السير صادف فارساً مقبلاً عليه من الجهة المقابلة ناداه وهو يوقف مطية قائلاً:

أيها الغريب.

فأوقف كارتري جواده وقال له:

ماذا؟

— أعندك تبغ؟

— مؤكد، عندي قطع كبيرة.

وكان نكارتر يعلم أن رجل الغابات يجب أن تكون معه مؤونة من التبغ فحمل معه كمية منه مع أنه لم يكن يستعمله.

ثم أخذ علبة من جيبه وقال للرجل هو ذا التبغ فخذ حاجتك.

فقال الرجل أشكرك ومد يده وحاول أن يمضغ قطعة منه.

فقال له نكارتر اقطعها إلى قسمين لأنك لا تزال بعيداً جداً عن العمران وعلى ما أظن أن التبغ لا ينمو على الأشجار كما قيل لي منذ هنيهة.

— أنت محق، فإن طالما وجدت في هذه البقعة التي هجرها الله والناس وكان قد أخذ

نصف قطعة التبغ ورد بقيتها إلى نكارتر.

فسأله البوليس: إذن أنت تعرف المقاطعة.

— نعم تقريباً ألا تعرفها أنت؟

— لا هذه هي المرة الأولى من مجيئي إليها.

— في طلب الذهب؟

— ليس تماماً فإنني ألاحق رجلاً أعمى.

— ماذا؟ إن هذا لغريب جداً.

— إن قدوم أعمى ليختبئ في هذه المواضع الموحشة هو غريب جداً ولكنه حدث.

— ليس هذا الذي أريد أن أقوله ولكنني أفكر بشخصين استأجرايني لخدمتهما كدليل

وطباخ وهم أيضاً مثلك يفتشون عن أعمى.

— يا للشيطان، هذا ما نسميه صدفة قال ذلك نكارتر وهو يلفظ سلسلة من الأقسام

تليق بسكان الغاب ثم سأل الرجل وما هي المسافة بيني وبينهما؟

- أظنهم أصدقاءك.
- تقريباً فإفهم من معارفى.
- حناً فأنتم الثلاثة فى هذه الحالة تطاردون شخصاً واحداً وهذا كل شىء.
- أصبت أىها الشجاع، وعلينا أن نتابع هذا الأعمى حتى نظفر به ولو اضطررنا الأمر أن نذهب إلى نهاية العالم.
- لتخرجوا منه الماسة أليس كذلك؟
- بسم ال. . . وكيف عرفت ذلك؟
- أخبرنى به صديقك.
- حناً إن هذه الماسة لا تخص الأعمى.
- فأغمض الرجل عينه وبدأ يقهقه وقد بدت على وجهه أمارات المكر ثم قال: أصدق قولك إن الماسة لا تخص الأعمى، فإذاً هى ملك الذى يظفر بها، ولكن هذا لا يهمنى فحاول أن تجتمع بأصدقائك.
- يدهشنى وقوفك على هذا السر.
- لا غرابة فى ذلك فالمسافرون أياماً عديدة فى القفار تنشأ بينهم روابط شديدة، وقد كانا يتكلمان بادئ الأمر سراً فكت أصغى إلى حديثهما ثم أخذت بسؤالهما ولما وجداني وقفت على شىء من القصة شرحاها لى وأخبرانى منها بما كنت لم أعلم بعد.
- قصا عليك كيف سرق الأعمى ماسهما أليس كذلك؟
- نعم أو بالأحرى ماسة أحد أصدقائهما.
- فحجب كارتر من ثرثرهما وقال للرجل إن أذنك لم تحدعاك.
- آه آه، أنت هو الصديق صاحب الماسة.
- هذا ممكن فأنا لا أنفبه.

— حسناً فاسمع إذن إن كنت لا تريد أن تصادف رصاصة تورددك حتفك فالأولى بك أن لا تحاول الاجتماع بصديقك، لأن مصاحبتها خطيرة وقد شعرت بذلك ولهذا فارقتهما هذه الليلة.

— يظهر لي أنهما أخبراك بكل شيء وأنا أرجوك أن تخبرني عن واسطة أتجنب فيها ملاقاتة هذه الرصاصة وأن تخبرني عن الطريق الذي ملكاه.

فرفع الرجل كفيه وقال إن فكر ملاحظتهما هو فكر جنوني، ولست أعلم ماذا تفعل إذا وجدت أمام اثنين هذا إذا لم نعد الأعمى، إنني تركت صديقك أول البارح فإذا أسرع في السير نحو الشرق تصل إلى مخاضة نزل فيها صديقك وركبا النهر وسافرا.

— أشكرك على هذه التعليمات.

ثم حرك كارتير جواده ولما رآه الرجل سأله هل أنت مصمم على التقدم؟

— بلا ريب.

— حسناً فهل يلزم أن أعلن خبر موتك؟

— لا تتعجل أستودعك الله.

— سر بالسلامة أيها الغريب وأشكرك على تبغك، لاحظ أنك واحد ضد اثنين ما عدا الأعمى ولكنني أشتهي لك الفوز من قلبي.

فأرخصي نكارتير لجواده العنان وبعد أن قطع ربع ميل التفت وهو على سرجه ونظر الرجل الذي كان يراقبه وهو ثابت في محله فقال البوليس في نفسه إن هذا الرجل ليس أبله كما أظهر لي وقلبي يحدثني أنه سيكون لي وله شأن قبل ختام القصة، آه الله ما أشد همي ماتيو ودونلسون اللذان يكشفان أسرارهما لكل سائل، واستمر البوليس في سيره حتى أحلوا لك الليل فاستراح قليلاً ثم ركب جواده وعاد للسير حتى وصل إلى ضاحية كولورادو التي أهداه إليها الرجل ثم ربط جواده في جذع شجرة ثم أوقد قليلاً من

الخطب وأعد لنفسه عشاءً من المذن التي اشتراها ثم التحف بغطائه ونام على الأرض ليريح نفسه بضع ساعات من عناء النهار.

وفي الثلاثة الأيام الأخيرة من إقامته هناك نظر عن بعد ثلاثة بيوت في ذلك القفر ولم يعلم البعد بينها وبين أقرب عمران وعلم أن المخبأ الذي يختاره الأعمى ليكون فيه لا يتسنى لصحبي النظر أن يقيموا فيه، ثم قال لماذا لم يسافر كراب إلى مدن الشرق الكبيرة حيث يصادف فرصة أوفق لبيع الماسة، وردد هذا السؤال في خاطره دون أن يهتدي إلى حل مرضي وأخيراً أغمض عينه وتاه حتى انفجر نوماً عميقاً هادئاً وعندما استيقظ تناول قليلاً من الطعام ثم علا ظهر جواده وسار فعرف بفراسته أن فرساناً آخرين قد تقدموه متهين في نفس الطريق، فسر بهذا وعلم أيضاً أن الفارس أهده إلى الصراط المستقيم وكان كلما تقدم يزداد منظر البلاد وحشة وانفراداً، وكان النهر يجري بسرعة شديدة بين مضائق صخرية ثم تصب مياهه المزلدة في مصب بعيد الغور فيجمع لها ضجة شديدة.

وبعد الظهر بقليل وصل كارتري إلى سفح رابية صخرية فهم أن يتسلقها وهو راكب وقد ظهرت له آثار على الأرض عرفته أن فرساناً آخرين مروا من هنالك حديثاً، وكانت قمة الرابية جرداء تطل على ما جاورها إلى أمد بعيد فوقف كارتري فجأة لأنه نظر على بعد ثلاثة أميال تقريباً خطأً رفيعاً من الدخان يتصاعد إلى الأفق فقال لعل هنالك مفتشاً عن الذهب أو لعل الطريدة التي ألحقها قد عادت، وكان كل ما حوله يظهر له واضحاً فأبصر نقطاً متحركة تشبه النمل السائر فظنها هنوداً ولكن هذا لم يكن راجحاً لأن البوليس منذ دخوله إلى تلك البلاد المتوحشة لم يشاهد أكثر من ستة من ذوي الجلود الحمراء ففرس في هذه النقطة بالعين المجردة لحظة من الزمان ثم تناول منظاره ووضعها على عينه فوجد أنهم أربعة فرسان يسرعون في المسير جنوباً وإذا لم

نكن جهة سيرهم هي الجهة التي ينحوما البوليس تأكد أنهم لا يقتفون آثاره وفضلاً عن ذلك فليس لهم من اللحاق فائدة.

وعندما فكر في هذا عاودته المواجس فتناول منظاره وبدأ بالتفرس فوجد الأربعة يتدرجون إلى اليمين وينحون في سيلهم محاضرة على بعد عدة أميال ثم وضع منظاره في جيبه وقد ظهرت على وجهه علامت الاهتمام والتأمل العميق لأنه نظر بين الأربعة وعلى زعامتهم الفارس الذي طلب منه تبغاً وقص عليه ما عرفه عن دونلسون وماتيو. وكان الجو قد طبق بالغيوم مما دل على قرب هبوب العاصفة فتساءل في نفسه عما يجب عليه أن يفعله وهل كان يسير في النهج القويم فإذا كان ذلك فهو يدرك جماعته قبل أن يبلغهم الفرس الأربعة ولكنه إذا كان يعتف في طريقه فماذا يحدث؟ وبعد أن فكر قليلاً قال لا، لا، إني أتبع الآثار ذاتها ثم لكز جواده وأخرج من كيس معلق بسرج الجواد بعض الأمتعة الصغيرة، ثم ساق مطيه إلى سفح الرابية حيثما ربطها في مرجة صغيرة محاطة بالعليق حيث يجد الجواد حوله شيئاً من الكلاً فيمكن لنكارتر أن يتركه هناك برهة طويلة دون أن يخشى عليه شراً ثم اطرد سيره ماشياً.

وقد تبع في مسيره ضفة النهر وما زال يسير حتى وصل إلى مضيق عميق تندفع إليه مياه النهر بسرعة وتنصب فيه فيسمع لها دوي شديد، وكان ممتداً على المضيق جذعا شجرتين كبيرتين قصفهما النهر فأشبهها جسراً ورأى نكارتر آثاراً دلت على أن خيولاً عبرت ذلك الجسر حديثاً فتبع الآثار فقادته تبعه الآثار إلى غابة كثيفة نظر من خلال أشجارها خطأ من الدخان رآه وهو على الصخرة غير أنه كان الآن قريباً منه وهو يتصاعد من بناية خشبية عاث السوس في عوارضها.

وكانت تجري أمام هذا الكوخ ساقية جميلة مملوءة بالسلك وأمامها ما يشبه الاصطبل قد ربط فيه ثلاث جياد.

ولم يكن غير هذا الكوخ معموراً في الجوار، فاقترب نكارتز بمدوء وأصغى لما يجري داخل الكوخ الذي ظهر له أنه كوخ رجل يفتش عن مناجم الذهب فيسمع من الداخل جلبة وضجة، فتقدم بدون احتراس إلى أن دخل الباب فسمع صوتاً يقول:

قد اكتفينا يجب أن نضع حداً لهذا الإنكار، فاسمع يا كراب الحقيقة إننا نريد أن نقاسمك فإذا أصررت على الإنكار لا نسليك ماستك فقط بل حياتك أيضاً.

ثم ارتفع صوت آخر يقول:

إننا لم نأت إلى هنا لنسمع ثرثرتك.

فأجاب شخص ثالث:

— افعل ما بدا لكما، إذا لم تخجلا أن قاجما أعمى مسكيناً وتقتلاه فلا تترددا، ولكنني أعيد عليكم إنني لا أعرف ماذا حدث للماسة وأود أن أبذل جهدي لأبرهن لكم صحة قولي فإنني خلعت ثيابي عندما أمرني دلمار فهل تودون أن أعيد ذلك الآن؟

فصرخ المتكلم الأول:

ماهذه الترهات عندما تسدد حسابك نعلم ماذا نصنع بثيابك وأما الآن فما عليك إلا أن تجينا إلى ما طلبنا وتيقن أننا بعد ذلك نكون كرماء جداً حتى أننا نهبك حياتك.

أعطنا الماسة أو أهدنا إلى موضعها وأنت إذا رفضت ماتت لا محالة.

فقال الأعمى وهو يتهد وأي معنى للرفض هنا هل يقدر الإنسان أن يعطي إلا ما يملكه؟

— آه

ثم عاد الأعمى إلى الكلام فقال:

فكروا فيما تقدمون عليه وتذكروا أن الدم المهرق ينتقم له دائماً.

— هو ذا الرسول الصالح! إننا نعلم ما يجب أن نعمله.

ثم خيم السكوت لحظة على تلك الغرفة.

فقال نكارتر لنفسه يظهر لي أنني وصلت في الوقت المناسب لأمنع هذين الشريرين من ارتكاب جريمة جديدة.

فتفتح الباب بلطف ليرى ما يجري داخل الكوخ، فوجد كراب جالساً قرب منضدة في وسط الخُل وعيناه الكبيرتان تحدقان بالحائظ أمامه، ولا شك أن الأخيرين باغتاوه وهو على المائدة إذ كان عليها قطع من الخبز واللحم البارد وقدر ماء ووعاء للقهوة والملح وكان ماتيو ودونيلسون واقفين أمامه وعلى وجهيهما أمارات التهديد فكان واحد منهما رافعاً هراوة ضخمة فوق رأس الأعمى والآخر مستعداً أن يضربه بخشب البندقية.

فقال لا يوجد في القضية ما يقال إن كراب أعمى إذ ليس بيدي أقل ممانعة لهذا الخطر الموشك الحدوث.

فتخطى عتبة الباب وأسرع إلى الداخل وألقى نفسه بين الأعمى وبين الشقين وصرخ بهما:

— اخجلا أيها الشقيان أتضربا أعمى لا طاقة له على الدفاع إن هذا منتهى الجبن والندالة ونزع الهراوة من يد ماتيو برشاقة وقبض على بندقية دونيلسون وهمي الأعمى الذي لم يعلم ماذا جرى والذي لم يكن يشك أنه أشرف على الهلاك.

فجمد الشريران لمفاجأة هذا الرجل الذي لم يعرفا من أين أتى فخيّل لهما أنه هبط من السماء، واستولى الذهول عليهما بضع ثوان، أما كراب فإنه تنهد جزعاً واختبأ تحت المائدة.

وأخيراً أتمم دونيلسون قاتلاً:

أي شيطان هذا، من أنت أيها الرجل، من أنت؟

وكان لنكارتر مزية عليهم هي أنه يعرفهم لأنه نظر صورهم وأما هم فلا يعرفونه البتة.
 — من أنا؟ لا أرى إخباركم بهذا ضرورياً ولكن الذي يهمكم هو أنني لا أقدر أن
 أمكت عندما أرى شريين قويين مثلكما يفتكان بأعنى ضعيف ليس له نصير ولا
 قدرة على الدفاع، إنني لست عظيماً من عظماء الأرض ولكنني لست نذلاً لأدعكما
 وشأنكما.

فقال ماتيو: إنه لم يكن هنا سوى ضجيج فقط واننا رمنا أن نخيفه.

— أن تخيفاه، حسناً، ولكنني لم أفهم كيف يمكنكما أن تروعا أعمى بمثل ما عملتما.

وكان الرجلان شاخصين بأبصارهما إليه فقال نكارتر:

— أصغيت قليلاً قرب الباب فسمعتكما تكلمان عن ماسة وإذا كنتم تودون أن
 نتقاسمها وذلك يصحبكم فانا أرضى أن أكون حكماً وإذا كنت أقدر أن أفيدكما فانا
 خادمكم.

فقال دونيلسون بمحبة:

لا تزعج نفسك فهل يهيك أمرنا وهل لك زمن طويل هنا هلم اهرب بأسرع ما
 يمكنك.

— شكراً لك على هذه الدعوة للهرب، ولكنني أروم أن أمكت قليلاً.

ثم أخذ البوليس كرسيًا وجلس بمكون ثم قال: اصغوا لكلامي كل الإصغاء يا رفاقي:

إذا حدث خصام في هذا الكوخ بعد الآن فهو سيحدث بيننا، إنكم سألتموني عن اسمي

فأنا أجيبكم على ذلك إنني (جاك الأحمر) من مقاطعة مونتانا المدعو أيضاً (بالدموي

المائل)، وقد تعودت أن ألهم اثنين أقوى منكما وأضخم غذاءً لي.

وفي أثناء الحديث أسند البندقية إلى المائدة وسحب مسدسه من جيبه.

— أنتظران جيداً هذا الكلب الصغير؟ إنه ينبح دون أن يتحرش به أحد، وصوت واحد منه كاف.

ثم ضحك البوليس ضحكاً مرعباً وجلس إلى المضدة بينما كان ماتيو ودونيلسون يتبادلان النظرات، فقال ماتيو:

فلنسافر فلنسافر، إذ ليس لنا مقام هنا بعد.

فاقترب الاثنان من الباب.

فقال نكارتر وهو يعث بسلاحه:

أرجوكم أن تقيما خمس دقائق هنا أيضاً، فهذا المحل أوفق لكم وأنا أقول لكم السب فإن عندي شيئاً لأقوله لكم وهو يهكمما جداً.

فنظر الاثنان بارتياب إلى جاك الأحمر الدعي وهما يرغبان أن يفتكا به ولكن سلاحه كان يوحى لهما أن يحترماه.

واستجع نكارتر الحديث فقال:

عودا إلى محليكما فما دمتما في هذا الكوخ فأنتما في مأمن من خطر الموت إنني أريد أن أقدم لكم اقتراحاً فإذا أردتما أن تساعداني ساعدتكما أيضاً.

وكان انفعال الشقيين يشند وهما يجدجانه بأبصارهما دون أن يلفظا كلمة.

فقال نكارتر بلهجة تدعو إلى الثقة:

إذا كان أحدكم أمهر من رفيقه فلب الماسة دونهما فلا تتخاصموا الآن لأجلها، كونوا أصدقاء، لأن خطراً مهولاً يهددكم جميعاً.

فقال دونيلسون:

أي خطر هذا؟ عماذا تكلم يا رفيقي؟ أوضح.

فقال كراب الذي ففض من محبته تحت المضدة:

نعم، أوضح ماذا تريد أن تقول؟ ليس عندنا ماسة قط فقال البوليس وهو يرفع كفيه:
— هذا ممكن ولكن يوجد في هذه النواحي رجال مقتنعون بعكس ما تقرره، أيكفي
هذا؟ هل فهمت معنى كلامي؟

— كلا إننا لم نفهم فهل تريد بتلميحاتك إلهامنا أن بولياً يقتضي آثارنا؟

فقال نكارتر وهو يرفع كفيه ثانية:

— ربما ولكني لا أعرف شيئاً من ذلك، ولكن الذي أعلمه أن رجالاً آخرين
يطاردونكم وهم أشد خطراً بما لا يقدر من أفراد البوليس.

اجلسوا مواضعكم يا رفاقي واسمعوا كيف عرفت ذلك، إنني لا أريد أن أرهقكم
فزعنا وسلامنا يتوقفان عليكم.

وبعد أن تبادل ماتيو ودونيلسون النظرات وجدا الأوفق لهما أن يتشجعا ويجلسا
فجلس الأول على كرسي مخلعة والثاني على صندوق فارغ فأخرج كارتير من جيبه
ورقة مربعة يعلوها الغبار مكتوبة بحروف حمراء ومد هذه الورقة لدونيلسون دون أن
يقول كلمة.

وكان فيه تصريح من أحد أشرف مقاطعات مونتانا يعد فيه بمكافأة كبيرة — خمسمائة
ريال — لمن يقبض على جاك الأحمر الشهير حياً أو ميتاً.

وكان نكارتر يتلاعب هذا التلاعب وهو أمين أن يفضح سره فإن عرف أن جاك
الأحمر كان في سجن هيلينا من مقاطعة قونتانا فليس في وسعه أن يفسد هذه الوحدة.

ثم فهقه نكارتر وقال لهم مما قرأتم في هذه الورقة يمكنكم أن تتفوا بي واسمعوا قصتي
الغريبة: فإنني اضطررت أن أقتل رجلاً كما أقتل ذبابة، وكان هذا الرجل قد صب ماءً
في قدح خمري أسمعتم؟ ماءً مع الويسكي! ماءً، ماءً.

فقلت لهذا الشقي الذي تجاسر على مزج الويسكي بالماء: إن قايين ليس شيئاً بالنسبة إليك، إن ما فعلته هو أعظم من قتل الأب أو الأخ وأريد أن أريك أيها الشقي كيف تجاسر أن تسمم رجلاً شريفاً بالويسكي المزوج بالماء، ولم أدعه ينتظر كثيراً بل أطلقت عليه رصاصة كانت القاضية.

أنتم ترون أي كنت محقاً فيما فعلت ولكن الشريف وأعضاء محكمته حكموا بغير هذا وبالاختصار فإني لو لم أقتل اثنين من المحرس لكنت علقت الآن في مشنقة جميلة، وكان موتي خسارة على الوطن أليس كذلك؟

ثم بدأ بطي الورقة وقال:

أما الآن فيما أنني بزى بربري أو وحشي كما يقولون فقد نجوت من الشرور ولم يعد من معارض لي في نزهتي، ولكنني قد صادفت منذ يومين فارساً قصص عليّ خبراً غريباً. قال لي أنه كان في خدمتكما وأكد لي أن في حوزتكما ماسة لا نظير لها في العالم بأسره وحاول أن يقنعني بالاتفاق معه لسلبكما إياها.

فنظر دونيلسون وماتيو أحدهما إلى الآخر وهما معجبان، ثم قال دونيلسون:

إصغ، إننا نعرف حق المعرفة هذا الرجل الذي تتكلم عنه فقد كان معنا وقد وقف على شيء من سرنا فلم يعد لنا مندوحة عن إفشائه لنجو من تعرضه، ولكن هذا ليس بالأمر الخطير.

فقال نكارتو حسناً دعني أتكلم:

على مسافة قليلة من هنا تجد رابية صخرية تتذكرانها دون شك لأنكما وطتماها بجواديكما، وقد وقفت عندها لأرواح النفس قليلاً فنظرت في السهل أربعة فوارس ساترين يجد ولم تكن هذه الناحية وجهتهم التي يقصدونها رأساً ولكنكم القوم الذين يفتشون عليهم وإذا نكبوا عن الطريق قليلاً فذلك حتى يجتمعوا برفاقهم.

أما متابعتهم لكم فهذا واضح وضوح الشمس وإذا كنت أشك في ذلك فأنا أقسم لكم بالرعد أنني أغتسل غداً وليحرسني الله، وقائد هذه الفرسان هو الرجل الذي كان في خدمتكم، وهنا ألق كلام البوليس صلعه الذين لم يشكوا في وشك الهلاك فاقترح دونيلسون سرعة الهرب.

فقال جاك الأهرم الدعي لا تفكر بهذا البتة فهؤلاء القوم يعرفون المقاطعة كما يعرفون جيوبهم فهم يسكنونكم حالاً، لا، لا، فأحسن ما نفعله هو أن نتربص هنا وندافعهم إذا هاجمونا.

— ماذا تقول؟ نتربص، إذن فأنت من جهلتا.

— مؤكد، فهل تظنون أنني أحتمل أن أراهم يشجون رؤوسكم بالرصاص ويقتلون هذا الأعمى المسكين، إنكم إذا ظنتم هذا فأنتم لا تعرفون جاك الأهرم حتى المعرفة، إذا هميتم ظهري قليلاً فلا أتردد عن أن أفق وحدي أمام اثني عشر فارساً.

فقال كراب:

آه يا إلهي لماذا باشرت هذا السفر؟

فسأل ماتيو:

هل أنت متأكد يا مسيو جاك أن هؤلاء الرجال يعرفون طريق رجوعنا.

قال هذا وهو يتبادل النظرات مع دونيلسون.

فقال جاك الدعي:

إنني أحذركم فإن هؤلاء الرجال أقدر على اقتفاء الآثار منكم لأننا حرفتكم! ألا

تعتقدون أنهم يعرفون بوجود هذا الكوخ؟

— هذا مرجح.

هل يخص هذا الكوخ أحداً منكم؟

فقال دونيلسون لا.

فصرخ كراب:

— إنه يحصني أكثر مما يحص غيري، لأنني أنا الذي بيته حين قدمت منذ بضع سنين إلى هذه الأنحاء طلباً لمناجم الذهب و كنت لم أفقد البصر بعد.

فقال له كارتير شكراً لك على هذه التعليمات فهل يوجد أكواخ في الجوار؟

فأجاب كراب: لا يوجد أكواخ إلى مسافة بعيدة أما إذا كانوا قد بنوا في هذه السنوات الأخيرة فهذا ما لا أعلمه.

فقال البوليس: لا أظن أن أحداً يستعمر هذه البقعة التي هجرها الله فهنا الذئاب تقاطع الدببة حتى أنها لا تحميها تحية السماء، وإذا اتفق أن مسافراً أعوزه الريبسكي في هذه القفار فما عليه إلا أن يصلي صلاة الموت.

وكان دونيلسون وماتيو مزويان يتكلمان بصوت منخفض وأخيراً خاطر به دونيلسون جاك الدعي بقوله:

— نعم إننا موشكون أن تقع في خطر عظيم وإننا نشكرك يا صاح لأنك أنذرتنا بالخطر قبل وقوعه فإذا رضي كراب أن يدفع إلينا الماسة فمن الممكن أن نجو جميعاً.
قبل أن . . .

فقاطعه نكارتير قائلاً:

— من الجنون أن تفكروا بمثل هذا الآن، إن هؤلاء الأشقياء يتبعوننا إلى مئات من الأميال.

فقال كراب:

— كيف يمكنني أن أعطي ما لا أملكه وما لم أملكه البتة.

فخاف ماتيو من إصرار شريكه ففتح فاه ليحييه ولكن نكارتير أسكته وقال:

سواء وجدت الماسة أو لم توجد فإنها على ما يظهر ستذهب بحياتنا جميعاً. . . إصغوا
فعلت وجوه الثلاثة صفرة وأصغوا وقد حبسوا أنفسهم فسمعوا وقع حوافر جياد
فأظهر جاك الدعي الضجر وقال:

إذا لم يكن هؤلاء هم الفرسان الذين أخبرتكم عنهم فإني آلو على نفسي أن لا أشرب
إلا الماء الصرف بقية أيام حياتي، ولكي أريكم قدر الذي حالفتموه يا أصدقائي
وسعادتكم بهذه المخالفة أرجوكم أن تتركوني أفتح القتال بنفسي.
ولم ينتظر البوليس جواب الثلاثة بل ترك الكوخ وبعد عنه أربعين متراً في طريق ضيق
وراء الكوخ.

ثم وقف فرأى الفرسان يقتربون وكانوا اثني عشر وعلى قيادتهم الرجل الذي طلب
تبغاً من كارتر، فأبدي كارتر لهم إشارة بمسدسه أدهشت الرجال فأوقفوا خيولهم
كأنهم يخضعون لأمر.

فصرخ القائد:

— هل وجدت معارفك؟

— نعم، أجاب الوحشي الكاذب، صحهم حنة وقد كلفوني أن أهمل لك تحياهم
فأين تذهب الآن؟

فهمهم القائد ثم قال:

إني قدمت إلى هنا مع صديقين لساعذك.

— أوكد لكم أن مساعدتكم لا تفيدني.

— لماذا؟

— لأنني لست في حاجة إليكم وهذا كل شيء.

ثم أبدي البوليس إشارة من مسدسه في طيها معان كثيرة.

فاتقرب الفرسان وتشاوروا بصوت منخفض جداً حتى أن كارتير لم يسمع من محادثتهم كلمة واحدة.

ثم عاد القائد إلى الكلام فقال:

— يقولون أنك تقصد أن تتحرش بنا وتفضنا.

— نعم فتكونون لي خبزاً جوهرياً قال ذلك وهو يضحك، إنني منذ يومين لم أقتل أحداً لأقتات به ومعدني فارغة ومع هذا فليس لكم بقلبي بغض ولا حقد ولا أريكم أسناني إلا إذا قصدتم الشر.

فقاطعته القائد قائلاً:

اقصر عنك وكف عن هذا الكلام أقول لك مرة، مرتين، ثلاث هل تريد أن تتخلى عن طريقنا؟

— إنك تقرأ أفكارى أيها الخيث.

— بالنتيجة فماذا تريد منا إننا لم نلحق بك الأذى.

— حتى الساعة لا، أما فيما بعد فأنتم موشكون.

— إذا مسست شعرة من رأس أحد أصدقائي جعلت لحمك طعمة للعقبان.

فأجابه البوليس ضاحكاً:

— فإذن فابدأ.

فصاح رجل كان واقفاً بجانب القائد:

يجب أن نرسل رصاصة للدماغ هذا الحسن.

ثم دفع جواده إلى الأمام قبل أن تبين نكارتير.

فعندئذ أطلق البوليس مسدسه فصمغ للرصاصة دوي واحلج الرجل فوق سرجه ثم

سقط إلى الأرض لأن الرصاصة سحقت كتفه.

ثم قال نكارتر:

عندي من هذه الرصاصة قدر ما تشاؤون لا أتأخر عن بذلها في سبيل خدمتكم، إن الممر ضيق جداً حتى لا يمكن لأكثر من اثنين منكم أن يتقدما سوية، وعندى لكم مؤونة كافية وأصدقائي عندهم أيضاً كثير منها فإذا أصررتم على غيكم فإننا سنردىكم واحداً بعد الآخر حتى لا يبقى منكم أحد، وسأسر جداً إذا قدرت أن أخدمكم بأن أجمعكم مع أجدادكم السالفين.

فظهر الرعب على وجوه الفرسان عندما شاهدوا مصرع صديقهم وزاد في رعبهم سهيل الخيول واضطرابها، ثم صاح اثنان من مؤخرهم إننا لا نقدر أن نحتمل أكثر وحاولا أن يتقدما إلى الأمام ولكن جواد القائد أجفل وسد الممر فجعل هذه المحاولة مستحيلة.

ولم يمكن لأحد من الصف المتأخر أن يطلق النار على البوليس خشية أن يصرع أحد رفاقه فلم يجذبوا أفضل من العود فلووا أعنة الجياد وانفتلوا راجعين.

ونزل القائد وأحد رفاقه فساعدوا الجريح على الركوب وبينما كانا يجدان لينضما إلى الفرقة التفت القائد إلى نكارتر وقال له:

أيها الغريب إنك قد بدأت القتال فاحذر من انتقامنا قبل أن يطلع النهار.
فقال نكارتر بحدة:

جربوا فإن عندنا من (الملبس) ما يكفيكم.

وعندما توارى الفارسان عن نظره عاد إلى الكوخ، فوجد دونيلسون وماتيو وفي يد كل منهما مسدسه وهما واقفان أمام الباب.

أما كراب فلم يتحرك من موضعه وكان وجهه مصفراً وأمامه على المنضدة مسدسه فقال ماتيو للبوليس:

يا للشيطان، إنك عراف شهير دون شك فإنك لو لم تبثنا بالخطر لقبضوا علينا ونحن في الكوخ كما يقبضون على الثعالب.

فقال كارتر:

لم تنته المعركة بعد فإنهم سيعيدونها.

فسأله كراب وهو يضطرب:

أتظن أن هذه العصبة ستعاود الهجوم قبل الليل؟

— لا، لا، إنا الآن آمنون إلى أجل قصير ويحسن بنا أن نغتزم هذه الفرصة لقتات بشيءٍ وبعدها نعد الوسائل لمصادمتهم، قال البوليس هذا ثم دخل إلى الكوخ.

فقال له دونيلسون:

كل قدر ما تشاء إذا كنت جانعاً، أما أنا فإنني لا أقدر أن أتناول لقمة واحدة وأفضل أن أقوم على حراستكم خارجاً، وأظن أنه من الضروري أن يقوم واحد منا على هذه الحراسة.

فقال له جاك الأحمق الدعي: كما تشاء.

وكان يظن أن دونيلسون يحاول الهرب فلم يهتم بذلك ولم يحاول أن يصده لأن شكوكه كانت تقع على كراب في الغالب وترك أيضاً ماتيو يرافق صديقه.

فقال كراب للبوليس:

— هناك في هذا الوعاء قهوة وعلى المائدة تجمد لحمًا مقدداً فتقدم كارتر بانطلاق، وقد حاول ماتيو أن يأكل ولكنه لم يقدر أن يلع.

ومع هذا فإن دونيلسون لم يحاول الفرار بل عاد إلى الكوخ بعد أن أتم كارتر عشاءه فسأل البوليس وفمه مלאً:

— ماذا يوجد؟

فقال دونيلسون: إنهم سيهاجمونا قبل الليل — وكانت هيته مضطربة — فإذا شاء كراب أن يعطينا الماسة فمن الممكن أن نجو جميعاً.

— كيف ذلك؟

— يمكننا أن نمر على هذا الجسر المؤلف من جذعي الشجرتين ثم نطلق فيه النار فلا يمكن الآخرين العبور.

فقال جاك الكاذب: أنت تعتقد بذلك يا صديقي؟ يظهر أنك لا تعرف هؤلاء الرجال معرفة يقين، إنهم قادرون أن يمسكونا إذا جازوا من محل آخر.

— ولكن يمكننا أن نخشى بين الصخور وندعهم يتقدمونا.

— كان ممكناً هذا لولا أن هؤلاء الرجال يعرفون هذه الصخور — منذ ولادتها — فهم

يحصروننا حتى نهلك جوعاً، وأقول لكم أن أحسن ما نفعله هو أن نبقى هنا ونصدمهم كالأبالسة، إننا أربعة على اثني عشر فلسنا في غاية الضعف لأننا في هذا الكوخ كأننا في معقل.

— ولكن لا يمكننا أن نعد كراب بين المدافعين.

— هذا حق إنني نسيت أنه أعمى، ولكن إذا كنتما من الرماة الماهرين مثلي إذن. . .

فقاطعته دونيلسون قائلاً:

إن هذا كلام في كلام سنهلك جميعنا إذا بقينا هنا.

— أجب سؤالي أولاً أيها الجبان هل تعرف أن تطلق النار جيداً؟

— ذلك مما لا ريب فيه.

— وأنت يا ماتيو.

— يا إلهي: إنني عند الحاجة أعرف كيف أسعمل المسدس.

— حسناً فليس علينا إلا أن ندافع عن نفوسنا فماذا تقول يا كراب وقبل أن يجب كراب أفرغ قدح الماء في فيه ثم قال:

— ليس لي ما أقوله سوى أنني كنت أود من صميم الفؤاد أن لا أبلغ هذه الأنحاء المقفرة، إنني أنصحكما يا رفيقي أن تتبعنا نصائح هذا الرجل فأنتم سبب هذه المتاعب، إنكما تريدان أن تجعلاني سارق الماسة وأخبرتما غريباً بما تقصدان فكانت نتيجة ثرثرتكما أن عصبة من الأشقياء تعقبنا الآن وهذر كما سيأتي على حياتنا.

وكان كراب يتكلم بلهجة ملؤها الإخلاص حتى أوشك أن ينخدع بما نكارت نفسه لولا أن براهين دامغة كانت تقنعه أن كراب بالرغم عن إنكاره الشديد هو سارق الماسة.

فلمعت شرارات الحقد في نظري دونيلسون وماتيو المرجهين إلى كراب ثم التفت نكارت إلى دونيلسون وسأله قائلاً: هل تظن أنهم يهاجمونا هذه الليلة؟
— إنني نظرت هؤلاء الأشقياء حين صعدت إلى ذروة الراية فوجدتهم في الوادي مشغولين بتناول الطعام والعناية بالجريح وسيصلون إلينا في الليل فقال ماتيو لم يبق للظلام إلا ساعة واحدة.

فتهد كراب تهدياً كثيراً وسأل قائلاً: هل يوجد مظاهر تدل على قرب وقوع المطر؟
— نحن معرضون من حين إلى آخر لغيث ساكب.

وكان نكارت قد أنهى العشاء فدخن لفافته بمدوء، وكان من مظاهر الكينة التامة التي تلوح على وجهه أنها أثرت تأثيراً حسناً في نفس البقية، وبعد قليل أقبل الظلام.

وكان نكارت جالساً قرب الباب فالتفت إلى الداخل وقال: أظن أن العصبة لا تتأخر طويلاً فاسعدوا للمصادمة.

فقال ماتيو والحيرة لا تفارقه.

— ماذا تقدر أن نصنع؟

— إنهم يعتقدون دون شك أننا ستحصن هنا فإذا أغلقنا باب الكوخ أحبطنا ما يرومونه من حصارنا ولا أظنهم يعودون إلينا راكبين ولكنهم يترجلون في الوادي ويتسلقون الصخر إلينا.

فقال دونيلسون:

— إننا نقابلهم سوية وهم يقابلوننا واحداً واحداً حقاً إن هذا موافق.

— هل تنظرون ذلك الصخر على بعد خمسين متراً؟

وكان الليل حالكاً فلم يتبينوه ولكنهم عرفوا عماذا يريد أن يكلمهم.

— اثنان منا يلوذان بذلك الصخر فيصيران كأنهما في معقل، فأنتما يا دونيلسون وماتيو تذهبان إلى هناك وأنا والأعمى نتوارى وراء هذا الصخر المقابل وإن يكن أقل مناعة من ذلك إلا أنه كاف، فإذا انحدر المهاجمون من الراية شويناهم بنار بنادقنا.

فقال ماتيو: فكرة في غاية الإصابة فعال يا جورج.

— نعم إن هذا التدمير حسن — قال البوليس — إن رصاصي تسوى اثنتين أما الأعمى فيحشو لي السلاح، أليس كذلك يا كراب؟

فأجاب العس بلهجة اليائس، أفعل كل ما تأمرني به، ثم أفرغ قذح الماء في فمه وسار وهو يتلمس الحائط إلى زاوية من الغرفة، ثم عاد وفي يده حقيبة مملأى بالخرطوش.

فسأله نكارتر: أهذه لي؟

— نعم، فقدني الآن إلى الزاوية التي عيبتها.

فسار دونيلسون وماتيو إلى الصخر الذي دلها عليهما البوليس وسار كراب ونكارتر إلى الصخر المقابل على بعد خمسين خطوة من الصخر الأول.

— لا يوجد في هذا الصخر سوى محل لرجل واحد فتعدد أنت على الأرض.

فسأله الأعمى: وأنت ماذا تفعل يا صديقي؟

— أنا أجد ملجأ ليقيني المهاجمة من بعض النواحي.

فتهد كراب وقال كل هذا من أجل ماسة مشروومة.

فقال البوليس ضاحكاً:

— نعم، إنني بعد كل ما سمعته لا أرى أشأم منها، ولكن كفى الآن! فإما أن يكون

سمعي قد خدعني أو أن المهاجمين اقتربوا! أصغ.

وأصغياً فسمعا دويًا من غابة مجاورة وكان خفيفاً جداً في بادئ الأمر ثم أخذ بالاشتداد

شيئاً فشيئاً.

وأطلق بقة طلقان ناربان من وراء الصخر الذي لاذ به دونيلسون وماتيو.

فتعلم البوليس وقال ما أشد حقهما إنهما أهديا الأعداء إلى مكمنهما عوضاً عن أن

يجعلاهم البادين، فهذه الغبورة تكلفهما كثيراً.

وفي الواقع أنه لم يكد الطلقان يلمعان حتى دوت ست طلقات من المهاجمين وكلها

موجهة إلى حيث خرجت النار.

فأيقن نكارتو أن الوقت قد حان فأطلق النار وللحال تصاعد في سكون الليل صراخ

ألم شديد، فقال البوليس قد أجدى الطلق على ما أظن، ثم أفرغ من مسدسه الخمس

الطلقات الباقية بسرعة مدهشة، ثم أمر كراب أن يحشو السلاح.

وكان يسمع حركة الأعمى وهو يحشو المسدسات، وسمع أيضاً من قمة الراية صراخاً

وتجديفاً فقال قائد العصابة:

باللداهية، إنهم أكثر مما ظننتهم.

فسأله آخر قائلاً:

هل جرحت يا وان؟

— نعم.

— وأنا أيضاً مصاب بمجرح بليغ.

فظن نكارتر أن الأعداء سيقاتلون وهم متقهقرون فإذا كان ذلك فما عليه إلا أن يطلق طلقاً واحداً، أو أنه يفرغ سلاحه في الهواء.

وفي هذه اللحظة دوى طلق من صخر الصديقين أجابه الأعداء بطلقات شديدة قوية ونظر نكارتر شبحاً يتسلل بين الأشجار فصوب عليه المسدس وأطلقه فاضطرب الشبح وتوارى في الغاب دون أن يهم بصيحة ألم.

— هذه خسارة، قال البوليس، كنت أفضل لو صرخ، لأنه كان يلقي الرعب في قلوب المهاجمين.

وهذا الطلق بدل الوجهة التي كان يقصدها المهاجمون فإهم عرفوا أن الخطر يهددهم من الجهة الأخرى، وللحال لمعت رصاصة وسقطت على الصخر وراء نكارتر والأعمى، فتمدد نكارتر على بطنه أما كراب فإنه حشا الأملحة وأعطاهما لرفيقه الشجاع وهو يتلملم وسأله:

هل تظن أنهم يحاصروننا هنا؟

— هذا ممكن.

ولمعت طلقات جديدة بالقرب منهما.

فقال البوليس وهو يحاول أن يتبين المهاجمين — عمل حسن.

ثم سمعوا طلقاً من وراء صخر الصديقين، فلم يقابله الأعداء بالمثل.

ثم ابتداء الحصار الذي تنبأ عنه كراب ونكارتر.

وقد سبقه سكون لم يفرغ في أثناءه نكارتر رصاصة من مسدسه ثم نظر بغتة دوران الفتیان المتسرعين.

فنهض قليلاً وهو يحمل في كل يد مسدساً فأفرغهما بالتتابع على المهاجمين بمهارة فائقة، وقد أصاب في الجميع تقريباً فكنت ترى هنا هيكلأ بشرياً يتقلب على الأرض أو يضطرب أو يتوارى في الظلام.

ولم يسكن الأعداء مدة طويلة بل عادوا إلى المهاجمة فانطلقت رصاصة رفعت قبعة نكارتر وطرحتها على الأرض، ولكن في ذات اللحظة سقط الرامي على الأرض وهو يصرخ صراخ الألم.

وكان نكارتر قد أبقى رصاصتين في كل مسدس.

ولكن طلقاً بالقرب منه ألفت أنظاره فوجد كراب قد أطلق النار فسأله:

ماذا صنعت هل أنت مجنون؟ دعني لهذا العمل فعلينا أن نقتصد في الذخيرة.

أنت محق، ولكنني فكرت أن رصاصة تطلق صدفة ربما كان لها بعض النفع وقد هيجت حتى لم أتملك نفسي.

وظهر أنه قد أصاب المرمى لأن البوليس نظر شبحاً يميل ذات اليمين وذات اليسار ثم سقط وقد كان مؤكداً أنه لم يطلق النار على هذا الرجل فتتم قاتلاً في نفسه:

آه، آه، إنني قد بدأت أفهم.

ولكن الوقت لم يكن وقت تفكير.

فإن ثلاثة أشباح اندفعت نحوه وهي تطلق النار بدون انقطاع حتى كادت تصم أذنا البوليس وكانت الرصاصات تمر بجانبه ولها صوت كفحيح الأفاعي ثم شعر برصاصة قد خرقت قميصه ولامست كتفه، وللحال غير نمط المهاجمة فعوضاً أن يبقى في مكانه انقض على مهاجميه وهو يشب وثب السم وأفرغ من مسدسه رصاصة صرعت أقرعهم

وكان الثاني قريباً جداً من نكارتر فاسعمل نكارتر مسدسه كهراوة وضربه على رأسه ضربة كانت القاضية عليه فسقط المسكين على الأرض.

أما الثالث فركن إلى الفرار لا يلوي على شيء كأن الموت يقتفيه ثم تواري في الوادي فتركه نكارتر يفر.

وهذه البسالة الفائقة من رجل واحد قررت النصر والظفر.

ثم التفت نكارتر إلى صديقه الأعمى وقال له أما الآن فسعود إلى الكوخ إذ لم يعد من خطر.

فنهض كراب واستند بيديه على ذراع البوليس، فلاحظ هذا أن الأعمى قام بهذه الحركة بسكون ولم يخامرهما شيء من الاضطراب والتردد الذي كان يرافق أقل حركاته.

كان الأعمى يتشكى منذ مدة يسيرة أنه عصبي المزاج سريع التأثر ولكنه في هذه اللحظة كان يظهر أنه ليس أقل جلدأ من نكارتر نفسه، فقاده البوليس إلى الكوخ، ولما وصل الاثنان إلى الباب وضع نكارتر يده على فمه ليستجمع قوة صوته ونادى الرفيقين الباقيين أن أخرجوا من مخبأكما فكل شيء قد انتهى وللحال أبصر رجلاً يعجل السر نحوه وكان هذا الرجل ماتيو، فسأله نكارتر: أين صديقك؟ فأجابه ماتيو بصوت متلجلج، قد مات، أصابته رصاصة عند الطلق الأول نفذت إلى دماغه.

— آه ما أتعس! ولكن لماذا عرض نفسه للخطر بتصديه لإطلاق النار أولاً.

— لماذا، لأنه ظل متهوراً إلى الساعة الأخيرة، فإني توصلت إليه أن يتربص قليلاً ولكنه أبى إلا أن يكون البادئ، وحالما أطلق النار رفع رأسه ليرى إذا كان أصاب المرمى وفي الدقيقة عنها صاح صيحة مرعبة وسقط بين ذراعي ميتاً.

— إنني سمعت تلك الصيحة ولكنني ظننت نشأت عن الأعداء، ماذا تريدون؟ إن الذي لا يصغي إلى النصائح تكون العاقبة وبالاً عليه والآن فلنظر خسائرنا فهل أنت جريح يا رفيقي؟
— كلا، وأنت؟

— إنني حمشت في ذراعي فهل عندكم مصباح؟
وكان مع نكارتير مصباحه الكهربائي ولكنه فضل أن لا يستعمله لئلا يثير الشكوك في نفس الرفيقين وكان يشعر بحاجة إلى الحذر والاحتراس آمل ما تقدم خطوة، وفوق ذلك فإنه لم يتمم وظيفته بعد فبالرغم عن كل ما قام به فالماسة ما زالت مفقودة.
فقال كراب هناك مصباح في الزاوية.

وبعد أن أوقدوا عدداً كبيراً من الثقاب (عيدان الكبريت) وجدته ماتيو فأضاءه في أثناء ذلك كان نكارتير قد خلع ملابسه ورفع كم قميصه فظهر على ذراعه جرح خفيف فقال البوليس إن الرصاصة كانت مسددة، ولنخرج الآن لنرى ساحة القتال ثم تناول المصباح واقترب من الباب.

فصرخ ماتيو:

هل أنت مجنون؟ فإذا كان أحد لأعداء مطروحاً على الأرض وله مكنة على إطلاق النار أفلا يتخذ منك هدفاً مناسباً؟

— هذا صحيح، ولكنني أشك في بقاء أحدهم حياً وإذا وجد أحد فهو لا يؤثر النزاع، وعند اقترابه من الأشجار أبصر شبحين يقتربان بيضاء فصاح به أحدهما لا تطلق النار أيها الغريب فإننا قد نلنا فوق الكفاية.

— كما تريدون أيها الأصدقاء إننا قوم مسالمون ولا نود أن نؤذي أحداً ولكن إذا كان جلد أحدكم كما يأكله فما عليه إلا أن يعود، فما زال لدينا ذخيرة معدة لخدمته ونستأنف

الدور، فلم يجيباه وعندما تقدم البوليس فرأى على نور الصباح أن أحدهما كان جريحاً جرحاً بليغاً وأما الجريح الثاني فكان خطبه أيسر فسألتهما هل خرج أحد منكم سالماً من المعركة؟

— نعم، ثلاثة.

— وأين هم؟

— إنهم نجوا كالأرانب واختأوا في الكهف.

— كذلك يفعل النيهاء، إنني أراكم قادرين على المسير فاذهبوا وادعوا أصدقاءكم، نوباً عني بتحتيتهم وناديتهم ليرجعوا أو يعنوا برفاقهم ويطمنوا من جهتنا فإننا سنساعدكم في مهمتهم، ولكن اصغروا: إذا كنتم عازمين أن تعيدوا المشهد فإننا سنجعل أجسادكم قوتاً لذئاب هذه الغاية.

فتمتم أحد الرجلين:

يا إله السماء، إننا قلنا أكثر من حسابنا، فكن مطمئناً، فنحن لا نريد إلا المسألة على شرط أن تقابلنا بالمثل.

ثم ودعا البوليس — وداعاً بسيطاً — وانحدرا مسرعين إلى منحى الكهف ثم عادا ومعهما الأصحاب الفارون.

وفي خلال غيابهم جال نكارتر في ساحة القتال ليرى إذا كان في وسعه أن يساعد أحداً من الجرحى، فوجد اثنين منهم ضمد جراحهما بمناديل أحضرها ماتيو من الكوخ خمسة من المهاجمين في جملتهم القائد سقطوا في المعركة.

فقال البوليس وهو يفكر:

يجزني أن أضطر إلى الفتك بمؤلاء، ولكننا كنا ندافع الدفاح الذي يجزه الشرخ فلو لم ندافع لكنا قتلنا الواحد بعد الآخر وظل الثلاثة الأصحاء نحواً من ساعتين حتى واروا

قتالهم في الثرى وأعانوا الجرحى إلى بلوغ مرابط الخيل، ثم تواری هؤلاء الفرسان عن العيان وكانوا منكبي رؤوسهم حزناً لإحفاق سعيهم فعرضاً أن يلاقوا الماسة لاقوا الضرب والرصاص.

وعندما بعد الأعداء قال جاك الكاذب أول فرض يجب علينا القيام به هو أن ندفن دونيلسون، فاستحسن ماتيو هذا الفكر واشغل الاثنان بحفر ضريح لجسد رفيقهما فصرفا في هذا السبيل ساعة من الزمان.

وفي أثناء ذلك كان المطر يتساقط غزيراً.

وكان كراب جالساً داخل الكوخ ووجهه بين يديه وكان مضى الهزيع الثاني من الليل حين عاد كارتر وماتيو إلى الكوخ.

فقال نكارتر لا أعلم يا صديقي إذا كنتما قادرين على السهر أما أنا فسأنام قال ذلك وهو يتأهب.

فقال ماتيو:

لو أعطوني ذهباً لأنام ما أمكني ذلك..

ولكنه بالرغم من هذا الكلام اضطجع في زاوية من الغرفة وبعد بضع دقائق علا غطيظه واستغرق في النوم، ولكن البوليس لم يغمض له جفن.

وكان الهواء يزداد رداءة، وقبل الفجر بقليل هبت عاصفة شديدة يصحبها برق ورعد، ولكن ماتيو لم ينتبه البتة بل ظل مستغرقاً في النوم.

وكان الظلام لم يزل سائداً عندما لحظ البوليس أن الأعمى نهض بتأن ومشى على رؤوس أصابعه نحو الباب، وكان يتقدم ببطء ولكن حركاته ليست حركات من فقد

بصره.

وهنا تلاشى الشك الأخير من نفس نكارتر، لقد شك به أثناء المعركة ولكنه تأكد الآن أن كراب كان من النوع المسمى (نكتالوب) والنكتالوبيا هي خاصة في العين تمنعها من النظر إلا في النور الضعيف أو الظلام الخالك وهي واضحة في المهررة الداجنة التي تبصر ليلاً كما تبصر قماراً.

وهذه الحالة نادرة جداً بين بني الإنسان ولكن نكارتر نظر مشهدها فكان كراب في النهار أعمى ولكنه يصبر جيداً في الليل.

وقد قدر أن يخدع جميع من شاهده حتى أصدقاءه الأخصاء فإنهم كانوا يعتقدون أنه فقد بصره تماماً، ولكن لما أطلق النار رغم إرادته فصرع الرجل الذي استهدفه كأبرع صياد كشف سره لنكارتر.

وهذا الاكتشاف زاد شبهة كارتير فجزم بأن كراب هو سارق الماسة دون غيره، وكان عليه أن يعرف مخبأها، ولم يفكر بإيقافه بل حاذر كل ما من شأنه أن يلقي الريب في نفس الأعمى قبل أن يعرف مخبأ الماسة.

إن هذا النكتالوب أظهر مهارة فائقة لا في سرقة الماسة فقط بل بتغيبها على شكل غامض حتى لم يجدوها معه ولا في ثيابه، فكان البوليس متكللاً على الصدفة وأن يدع السارق أميناً.

ولهذا لم يعارضه حين خرج تحت المطر المتساقط كأفواه القرب بل نهض بتأن لیتبعه. إن الثبات الذي كان يسير به كراب في تلك الأرض الوعرة والمغطاة بالعوسج وليس فيها طريق مطروق أذهل البوليس إذ أنه على الرغم من نظره الثاقب ومن اعتياده المسير في الليل والنهار بين الوعور والآكام كان يبذل جهداً شديداً كي لا تزل به القدم.

وكان كراب يتقدم دون تردد ولا تأخر وبدأ بالتزول على الصخر إلى مصب النهر فضاقت صدر نكارتر لأنه لم يعلم كيف يتبع النكتالوب في هذه الليلة الخالكة فوقف لحظة ليفكر فسمع بغمة وقع خطوات وراءه، فالتفت وإذا ماتيو قد انقطعت أنفاسه من سرعة الجري وكان قد وصل إلى حيث كان البوليس فقال له بصوت منخفض.

إنني نهضت فجأة ونظرت نور البرق فوجدتك قد خرجت من الكوخ فهل تقدمك — بدون شك — أجاب نكارتر وهو شديد العجب من تصرف ماتيو أنه قد خباها في الكهف على ما يظهر.

فآلى ماتيو على نفسه أن يلحق به وكاد يندفع في سبيله فأمسكه نكارتر بيد شديدة فأثبته في محله وقال له ببرودة:

انتظر دقيقة بعد يا عزيزي فعندي شيء أريد أن أوضحه لك فارتعش ماتيو، فغنه رأى أن سلوك جاك الدعي لم يعد هو ذاته حتى أن لهجة صوته تغيرت ثم قال:

— ماذا تريد أن تقول؟

— إنني بوليس ليس إلا وأنا مكلف أن أعيد الماسة إلى صاحبها الشرعي الذي سلبت منه، فحين تصل الماسة ليدي أعيدها إلى دلمار، أما أنت يا مسيو ماتيو فأنا لا أريد منك شيئاً ولكن إذا حاولت أن تقاومني أو تحبط ما أحاوله فستندم على ذلك، فوقف ماتيو دقيقة دون حراك كأن الصاعقة قد انقضت عليه وحاول عبثاً أن يتكلم.

— بو. . . . ليس. . . . بوله. . . . يس — قتم أخيراً، وأنت أنت. . . ت. . . تر. . .

قينا.

— أنا لا أقتفي آثارك ولكنني ألاحق كراب، كنت أفعل مثلكم.

قال نكارتر ببشاشة: فإنني كنت أعلم منذ زمن بعيد أنك لا أنت السارق ولا دونيلسون ولكنكم صممتم أن تستردوا الماسة ولكن لا لتعيدها إلى صاحبها بل لتبقوها لأنفسكم.

— لكن... لكن... لا أعرف... أريد أن أسألك... ماذا تدعى؟

— أدعى كارتر من نيويورك وعادة يدعونني نكارتر.

— يا إلهي.

فارتجفت جميع أعضاء ماتيو واستلقى على صخر وهو يحاول أن يستعيد نفسه.

— صمم الآن — قال البوليس إنني قدمت لك نصيحة حنة وأنا آمل أن تقابلني بالمثل وهذا كل ما أطلبه منك.

— اعتمد عليّ يا مسيو كارتر، فلتحرمني السماء من عداوتك.

— لا أحقد عليك — قال البوليس — وقد أخذته الرأفة على ضعف ماتيو ورعبه.

فلنسمع.

— كل ما تريد.

— هل أنت شريك كراب؟

— نعم ولكن لا في سرقة الماسة.

— أعرف هذا، ولكنك تعرفه منذ زمن طويل، هل تعرف أنه كان نكتالوب يعني

أعمى في النهار ويرى في الليل؟

فنظر ماتيو إلى مخاطبه بعجب.

— حقاً إنك لاحظت ذلك؟ إنني اشتبهت به منذ زمن طويل وكدت أتأكد.

— وأخيراً تبدل شكك باليقين.

— ولا ولكن بالعكس بل كثيراً ما كنت أغالط نفسي، فإن كراب إذا لم يكن سوى نيكالوب فإنه أمهر ممثل عرفته في حياتي.

— أنا على رأيك في هذا الأمر، إنه نيكالوب وأقدر أن أؤكد ذلك.

— هل تعرف أين خبأ عين الشيطان.

— لم ألاحظ أقل شيء من ذلك، ولا أقدر أن أجزم فيما إذا كانت الماسة في حوزته فليس عندي أقل برهان سوى الاستدلال والاستنتاج.

— وأنا من رأيك.

— أرجوك — إذا كنت تريد الخير لنفسك — أن لا تكتم عني شيئاً علمته وأقدر أن أستفيد منه شيئاً.

— أقول لك الحقيقة يا مسيو كارتر كما لو كنت أتكلم بعد القسم وأؤكد لك أنني أفادي بكل شيء حتى لا أعاديك.

— حسناً — وأنا أسمع — عندما اجتمعت بصديقك دونيلسون وصادفتما الأعمى هل كان في الكوخ.

— لا، كان الكوخ خالياً، ولكننا وجدنا آثاره فجزمنا برجوعه.

— ومتى رجع؟

— أمس مساءً.

— أول الليل.

— نعم.

— إذن فهو في الليل يرى بجلاء إذ كيف يمكن الأعمى أن يجول وحيداً في هذه المقاطعات المنفردة، أو لم ينهك ذلك إلى أنه نيكالوب.

— نعم إن هذا الفكر داخلي، ولكنني لم أفه لدونيلسون بكلمة.

— هل عرفت شيئاً عن الخجل الذي كان فيه كراب؟

— لا أعرف. . . ولكنه أتى من هذه الجهة، ثم أشار إلى جهة الكهف.

— هل نظرتَه يتزل إلى هذا الكهف؟

— إننا راقبناه طول الليل، فلم يكشف لنا من الأمر شيء حتى وصلت إلينا، وقد

تفنا في سؤاله وأخيراً فرغ صبرنا فعولنا على إرغامه ليعطينا الماسة طوعاً أو كرهاً.

— إنكما تصرفتما بكل خرق في التدرج بالوسائل ولو لم أباغتكما لكت الآن قاتلاً

شقياً أمام الله والناس.

فارتجف ماتير وغطى وجهه بيديه ثم قال وهو يتململ.

— كنت أود لو لم أتناحل في هذه القضية، مع أنني أنا، أنا الذي زنت لدونيلسون

اتباع الأعمى واغتصاب الماسة.

— إنني قلت لك وأكرر ما قلت، ليس في صدري شيء عليك لا شخصياً ولا بداعي

الوظيفة ويمكنك أن تحب الآن دون أن تحشى شيئاً، ولكن كن حكيماً في

المقبل، وأنصح لك الآن بالرجوع إلى الكوخ مسرعاً كما تفر من الموت، أما أنا

فسأتابع الأعمى إلى الكهف.

— دعني أصاحبك يا مسير كارتر، إنني فكرت ملياً في ذلك، فقد كانت هذه الماسة

مشؤومة فألفتني في هذه الوهدة، وأريد الآن أن أبذل الجهد المستطاع لأردها إلى

صديقي القديم دلار.

فقال البوليس وهو يرفع كتفيه:

— كما تشاء إذ لا أجد مانعاً من إجابتك إلى ما تطلب، ولكنني أود أن ألفت أنظارك

إلى الخطر الذي تسعى إليه فإن كراب ينقل مسدسه وهو يرى في الظلمة كما يرى

الهر.

— إذا لم أكن مخدوعاً أقول أنه خبياً أيضاً بندقية في الكهف ولكن هذا لا يثني عزمي عما أروم.

— حسناً جداً، ولكننا نحتاج نوراً لثلاث نعر في الحدران لأننا لسنا من فصيلة (نكتالوب) كما تعلم.

— سأذهب إلى الكوخ وأفتش عن المصباح.

قال ذلك وهمّ بالذهاب فأمسكه نكارتر بذراعه وقال له:

لا حاجة لذلك فإن معي ما يغني، وأخذ من جيبه المصباح الكهربائي وأناره بضغطه على الزر.

فأبصرا أمامهما ممراً ضيقاً متحدراً كثير المزالق يؤدي بعد معاناة الأخطار إلى قاع الكهف، فتدرج الاثنان في هذا الطريق وهما متحدران، ولكنهما أسرعاً في المسير على قدر الاستطاعة.

فوصولاً أيضاً إلى أرض جرداء ولم يكن فيها سوى طريق صغير متعرج ضيق مملوء بالحجارة المحددة الرؤوس التي كانت تمزق الأحذية وكان على يمينها صخر ينهض إلى الأعالي حتى تغيب قمته في السحاب وعلى يسارها النهر بأواجهه المزبدة فسأل البوليس أي طريق يسلكه كراب عند مروره من هنا.

ولم ينتظر طويلاً حتى يسمع جواباً على ذلك فإن شهاباً لمع للحال قرب النهر وسمع دوي طلق فأرعب نكارتر رعباً شديداً.

وصرخ ماتيو صراخاً هائلاً وأن أنه جرع لا تترجم بالكلام ثم رفع ذراعيه إلى السماء وحركهما هنيهة وبعد أن خطا بضع خطوات إلى الوراء سقط إلى الأرض لأن الرصاصة كانت قد اخترقت قلبه.

ولكن نكارتري لم يفقد صوابه فأدار نور المصباح إلى الجهة التي أتى منها الطلق ولكن النور لم يبلغ المسافة المطلوبة حتى يرى من هو الذي أطلق النار، فعزم البوليس أن يتبع مجرى الحوادث.

وبعد لحظة دوى طلق آخر أصاب المصباح الكهربائي الذي كان في يد البوليس ولحسن الحظ كان نكارتري ماداً يده بالمصباح لتطول المسافة التي يبلغها نوره فرفضت يده الصدمة الشديدة، وحين فقد النور عرف شدة الخطر الذي وقع فيه، إذ كان لخصمه عليه مزية كبرى في أنه يرى بجلاء على رغم الظلام المتكاثف أو بالأحرى بواسطته.

ولكن البوليس لم يكن يرى شيئاً فراح يعدو إلى جهة الصخر ليحصن به. فوفق الالتجاء إلى تجويف ضيق في الصخر انسل إليه بصعوبة وهناك رضى بتظر النتيجة بفارغ الصبر.

فدوى طلق جديد وقع على الصخر الذي كان البوليس على وشك مغادرته فقال: إذن ينبغي أن أقيم هنا دون حراك فإنني إذا خاطرت في التقدم خطوة إلى الأمام أصابني رصاصة شذخت رأسي، لأن هذا الحيوان يصيب المرمى أحسن إصابة، ومع هذا فإن مقامي ليس أقل خطراً من القدم فقد يمكن أن يبلغه كراب دون أن أشعر به. وفي هذه اللحظة دوى الرعد فرددت صدى دويه الأودية بما يصم الآذان ولمع البرق فأضاء تجويف الصخر وتلك الأرجاء كلها حتى سهل النظر على البوليس.

فغم كارتري هذه النهضة وحاول أن يستفيد منها عالماً أن كراب لا يستطيع فيها شيئاً بسبب ضعفه، فخطار حينئذ ورفع رأسه قليلاً ليرى خصمه فوجده على بعد خمسين خطوة واقفاً أمام ضفة النهر وهو يحمل باليد الواحدة بندقية ويستر عينه بالأخرى حتى لا يبهره النور.

فعمد نكارتر إلى الاحتيال الذي خلصه من مواقف أشد خطراً من هذا الموقف فأخذ قبعته وعلقها على رأس صخرة ثم نزل مسرعاً إلى ضفة النهر حيثما لا يرى. ثم اختفى نور البرق وساد الظلام ولم يعد البوليس قادراً أن يرى كراب فلم تمر لحظة حتى سمع دوي شديد وسمع كارتتر صوت قبعته المتدحرجة على الأرض.

— لم يحدعني فكري فقد ظنت أنه سيلمح قبعتي، وأوئل أن يسقط الآن في الفخ وكان يسمع خطوات تقرب من الخل الذي كان جائئاً فيه كأنها تقتفي آثار قبعته كأن كراب كان آتياً ليرى خصه قتيلاً.

ولم يكن كارتتر قادراً أن يميز شيئاً في الظلمة ففضل أن يستمر على سكونه ولم يشأ أن يصاب بطلق ناري يجعله هدفاً لنار (نكتالوب).

ولكن يجب أن نؤمن بآلاه خاص للبوليس السري فإن لمعة برق أشد من التي سلفتها أنارت الكهف حتى ظهرت أشجاره وعوسجه ورؤوس صخوره.

فوقف كراب فجأة ووضع يديه على عينيه متألماً لأن النور بهرهما وسكن بدون حراك كأن نار السماء قد أحرقتهم.

وللحال وثب البوليس وارتمى عليه، فشعر كراب بدنو خصه فصاح صياح الغضب وقد ارتجف غيظاً لأن نور البرق لم يكن قد اختفى بعد فحاول أن يقابل البوليس، ولكن هذا كان أسرع منه فقبض على فم البارودة قبل أن يطلقها كراب فضاع الطلق في الهواء وسمع له دوي اضطربت له تلك الصخور من أسها.

ولسوء الحظ عادت الظلمة ثانية.

وقام بين الرجلين صراع شديد، وكان اليأس يضاعف قوى كراب وفضلاً عن ذلك فإنه يرى في الظلام بينما كان نكارتر يصادف مشقة شديدة ليقبض على خصه وقد قاتل كراب بخفة النمر فكان يثب ويضرب ويذمجر ولكنه تعب أخيراً فقبض نكارتر

على رقبتة بذراعيه الشديديتين، وانفارت التربة التي تحمّت أقدام الرجلين فجأة لما تخللها من المطر، ففقد كراب الموازنة ولكن البوليس نجح بوثة وثبها إلى الوراء من خطر التلحرج من رفيقه إلى أعماق النهر.

ولمع البرق فأنار تلك الأرجاء، فأبصر نكارتر خصمه متدهوراً في ذلك المنحدر وهو يحاول أن يتمسك بالعوسج فخاب ما حاوله، وسقط المسكين في النهر وقد صرخ هذا الصعس وهو على وشك الهلاك:

فلتكن ملعوناً، فلتكن ملعوناً، إنك لن تظفر بالماسة البتة، البتة، البتة، وطغت عليه مياه النهر فصاح صيحة هائلة حمد لها الدم في عروق نكارتر ثم غاص في الماء.

وبعد بضعة أيام وصل البوليس — وهو الوحيد الذي بقي حياً من العصابة إلى مقاطعة في الأريزونا فيها مكتب للتلغراف، فراسل باتسي الذي كان باقياً في دانفر كما أمره وعلم منه أن دلمار سافر إلى سان فرانسيسكو فأجابه نكارتر تلغرافياً بما يأتي.

سأقبله في سان فرانسيسكو وأطلعته على تفصيل الحوادث أما أنت فيمكنك أن تذهب إلى نيويورك.

وكان نكارتر بعد الواقعة قد جاس الأراضى وسرى نتيجة فعله، ثم عاد يلتبس الجواد فوجده حيث عقله أما سائر المطايا فقد هلكت برصاص المتقاتلين، واستمر البوليس مسافراً على ظهر الجواد حتى وصل أول موقف لسكة الحديد فركبها إلى فرنسيسكو وهو يتهدد تنهد الراحة لأنه وجد أخيراً في غرفة منقنة فيها جميع معدات الراحة والرفاهية.

وفي فرنسيسكو قابل دلمار التاجر الهندي القديم ووضع في يده الماسة الثمينة التي كان يعتقد أنه فقدها إلى الأبد، فكان تأثر التاجر شديداً حتى تعذر عليه النطق بضع دقائق ثم دعا البوليس إلى تناول الطعام وسأله أن يقص عليه الحوادث التي جرت.

فقال نكارتتر:

ليست مهمة جداً — قال ذلك لأنه كان يكره أن يذكر الأعمال الفائقة التي قام بها — ولكنني أقول أنه كان من المستحيل عليّ أن ألقى الماسة لو لم أعرف كيف سرقت
فقال دلمار:

أؤكد لك أني لا أعرف أيهما يسرني أكثر أن تعود الماسة إلى حوزتي أم أن أعرف الأسلوب الخارق الذي سرقت به.

— إن اللغز الذي حير ألبانيا كان بسيطاً للغاية، فكانت مظاهر الصعوبة التي تجلله أشبه بالظاهر التي جللت أركاز بيضة خريستوف كوليبوس.

يجب عليّ أن أقول لك أن كراب كان نكتالوب أي أنه لم يكن يرى في النهار ولكنه في الليل يرى بجلاء وعلى هذا فكان يستحيل عليه أن يرى على النور الكهربائي. ولكنك لما التفت وضغطت الزر فأظلمت الغرفة نظر الماسة تلمع في ذلك الظلام فحفظها ورماها في قدح الماء الذي كان أمامه.

ولما شعر أنك ستعيد النور حالاً وضع القدح على فمه وإذا لم يكن للماسة لون استحال عليك أن تراها في القدح.

فصادق دلمار على كلامه وقال:

والأغرب من ذلك أن الماسة كانت تحت يدك عندما كنت تفتش جيوب أصحابك وثيابهم.

وعندما طلب كراب منك أن تناوله قدح الماء قبل أن يارح الغرفة قدمت له الكأس والماسة معاً وقلبك منحني للإمانة التي وجهتها لهذا الضعيف أليس كذلك يا مسمير دلمار إن هذا يميت من الضحك.

وانك تذكر جيداً أنه بعد أن تناول الماء كلمته فاقصر على الاثغاء أمامك وقد عزوت هذا لانفعاله الشديد من الإهانة حتى وقفت الكلمات على شفتيه آه، آه، آه. وعندما خرج من الغرفة تناول الماسة من فمه ووضعها في جيبه وقد أتى مثل ذلك مراراً في الكوخ حيثما اجتمع عليه صديقه واني أؤكد أن الماسة كانت أمامه في الكأس حين شرعنا بالقتال مع البرابرة، وأذكر أيضاً أنه أفرغ القدح في فمه قبل أن يجلب لي حقيبة الرصاص ولا شك أن الماسة كانت عندئذ في فمه ثم خبأها في الكهف. ولكي أختصر القصة أقول لك أنني خفت خوفاً شديداً لما سقط كراب في النهر من أن تكون الماسة معه فلا يعود في اليد حيلة كما تعلم وأخيراً عزمتم أن لا أبارح الكهف بل أنتظر طلوع النهار وأخيراً بدأت بالتقيب بين الصخرو.

ولم يكن لي مطعم أن أجد جثة كراب فإني لم أقف لها على أثر وبعد أن فحصت الحاجز الصخري وجدت تجويفاً فيه يؤدي إلى مغارة وكان في المغارة قوت وغطاء من الصوف وبنديقية ومسدسان وعدة حوائج أخرى.

ولا يقتضي فطنة كبيرة حتى يعرف الإنسان أن هذه المغارة هي محباً حصين وقد انتقامها كراب عند مبارحة الكوخ وأجاد في انتقامها لأن رجلاً فيها يمكنه أن يحارب جيشاً على شرط أن يكون عنده الذخائر الكافية.

وأخذت أنقب في زوايا الكوخ ومكانه ولكن آمالي خابت في أن أجد الماسة فيه إذ لم يلح لي أقل أثر منها وكدت أياس نولاً أنني لحظت في جانب الكهف صخراً على شكل مائدة وفي وسطه تجويف طبيعي صغير مملآن ماءً.

أقول تجويف طبيعي ولكن الأمر كان بالعكس لأنه كان من المستحيل أن يتسرب الماء من نفسه إلى ذلك التجويف فكان من الواجب أن تكون يد إنسان قد صبها فيه فوضعت يدي في هذه الماء توقعت على جسم صلب لا أراه ولكنه كان موجوداً لأنه

كان يقاوم أصابعي والله ذلك السرور الذي شعرت به فإني عندما جذبت ذلك الجسم من الماء كانت الماسة بعينها التي طالما بكيت عليها وحننت إلى استرجاعها، هذا هو حل اللغز.

ثم استلقى نكارتر على مقعده وأغرب في الضحك.

فاستحوذ العجب والدهشة على دلمار وكان يتنازعه عامل السرور باستعادة الماسة وعامل الاحترام لذلك الشجاع النبيل المهذب فهض وطوق عنق البوليس بذراعيه وجد في تقبيله قبلات شديدة أما نكارتر فلم يمانعه في ذلك البتة.

ثم قال دلمار:

إن كراب هذا هو أدمى لص لفته في حياتي أليس كذلك يا مسيو كارتير؟ إنني لا أعرف كيف أعبر عن شكري العظيم.

فتبسم البوليس، ثم استأنف دلمار الكلام فقال:

إن الماسة صارت أعزّ عليّ الآن بعد أن تعرضت لخطر الضياع، ولكنني كنت أود أن أعلم ماذا جرى بكراب.

فقال البوليس وهو يرفع كتفيه — إنني لم آل جهداً في التفتيش عنه فذهبت مساعي أدراج الرياح وأعتقد الآن أنه يرقد بسلام في أعماق هر كولورادو. . . .

وقفة عند يلنر

لمن القصر لا يجيب سؤالي ... أهلات ربوعه أم خوال
مشخر البناء حيث ترأى ... بالياً مجده بلى الأطلال
لم تصبه زلازل الأرض لكن ... قد رمته السماء بالزلزال
وكسته الأيام بالصمت لما ... نطقت فيه حوادث الليالي
فترآءت أبكاره شاحبات ... باقيات بأعين الآصال